
الدين .. والدجل
(١٣)
ورثة إبليس
قصص تصور إلغاء السلفية للآخر
وتكبرهم عليه
د. نور الدين أبو لحية

هذا الكتاب

ورثة إبليس هم أولئك الذين زعموا لأنفسهم احتكار الدين.. بل احتكار الكتاب والسنة.. بل احتكار الله ورسوله.. وراحوا بكل ما لديهم من أدوات الحقد والكراهية التي ورثوها من إبليس يجلسون على عروشهم الشيطانية يصنفون الناس بحسب أهوائهم وأمزجتهم.. فيكفرون ويبدعون ويضللون.. ثم يفتون الفتاوى الخطيرة التي ملأت أنهار المسلمين دماء.. وحولت حياتهم دمارا وخرابا.

وبعبارة صريحة لا لبس فيها ولا غش، فإن [السلفية] هي هذه الطائفة التي اختارت لنفسها أن ترث كبرياء إبليس وعتوه طغيانه واحتقاره لغيره..

لأن إبليس وإن قال كلمته الخطيرة: أنا خير منه.. مرة واحدة.. فإن هؤلاء السلفية يرددونها كل يوم، وفي كل حين، ومع كل الناس.. بل إنهم لا يتعاملون مع العالم إلا من آفاق هذه الخيرية التي يزعمونها لأنفسهم.. فلذا تراهم يعاقبون مخالفيهم بالهجر والاحتقار والتكفير والتقتيل، كما تصور إبليس أنه عاقب آدم بعدم السجود له.

الدين .. والدجل

(13)

ورثة إبليس

قصص تصور إلغاء السلفية للآخر وتكبرهم عليه

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

1436 – 2016

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

من القصص التي لها تأثير عرفاني وسلوكي كبير في القرآن الكريم قصة آدم عليه السلام، ورفض إبليس السجود له، وتوعده بإخراجه من الجنة، وتوعده بإضلال ذريته..

فتلك القصة تعيدنا إلى حقيقتنا، وسر هبوطنا إلى الأرض، وسر العدو الأكبر الذي يتربص بنا، ويريدنا ألا نعود إلى الجنة التي خرجنا منها..

وللأسف فإننا كثيرا ما ننسى هذه القصة رغم ورودها مرارا في القرآن الكريم، وننسى معها إبليس، وننسى معها وعيده، وننسى معها الجنة التي خرجنا منها، ووعدنا الله أن نعود إليها، وتوعدنا إن انضممنا إلى حلف إبليس أن نحشر معه، ونلعن معه.. لأننا وضعنا قصصا أخرى، وأعداء جددا، وأعطينا إبليس الكثير من الحق من حيث لا نشعر حين اعتبرنا السجود ومعه كل سلوك تعظيمي نوجهه لأولياء الله شركا وضلالا وكفرا..

والأخطر من ذلك كله هو أننا نسينا في خضم ذلك الجدل الكبير الذي ملأ حياتنا بالعبث أننا يمكن أن نتحول إلى أبالسة صغارا أو كبارا.. لأن الإبليسية لا تقتصر على فرد من أفراد الجن عارض ذات يومه ربه العظيم.. وإنما الإبليسية سلوك ينبع من أمراض باطنية خطيرة تنطلق من إلغاء الآخر والتكبر عليه وممارسة كل أنواع الأذى له.

فجريمة إبليس الكبرى لا تكمن فقط في ذلك الموقف الذي وقفه يوم طلب الله تعالى منه السجود لآدم، وإنما تكمن في تلك النفسية المستكبرة المستعلية الحاقدة التي فضحها يوم السجود، وأخرج ما في سرائرها من أنواع الحقد والكبر والاستعلاء.

جريمة إبليس الكبرى هي مقولته الخطيرة: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: 12]، والتي تمثل الاستعلاء في أعلى درجاته.. ذلك أن الذي يحدد الخيرية هو

اللــه.. وليس لأحــد من النــاس أي كــان أن يطغى ويســتعلي، ويقول لغيره: أنا خير منـك.. وإلا كـان مصـيره مصـيره إبليس.. بل هو في الحقيقـة ليس سـوى جنـدي من جنـوده، ووارث من ورثته.

فوراثة إبليس هي وراثة ذلك الاستعلاء والكـبر الـذي ينشـأ عنه إلغاء الآخر وتحقيره والتهوين من شأنه.

وقـد كـان للشـيطان في كـل ملـة من الملـل، أو أمـة من الأمم ورثـة ورثـوه في هـذا الجـانب.. وكـان أولئـك الورثـة هم مشعلو الحروب ومثيروا الفتن..

ولا تختلـف هـذه الأمم عن تلـك الأمم جميعـا.. فللشـيطان حظه منها.. وله ورثته فيها.. وأول ورثته هم أولئك الذين زعموا لأنفسهم احتكار الدين.. بل احتكار الكتاب والسنة.. بـل احتكـار الله ورسوله.. وراحوا بكل ما لديهم من أدوات الحقد والكراهية الــتي ورثوهــا من إبليس يجلســون على عروشــهم الشــيطانية يصنفون الناس بحسب أهوائهم وأمزجتهم.. فيكفرون ويبــدعون ويضــللون.. ثم يفتــون الفتــاوى الخطــيرة الــتي ملأت أنهــار المسلمين دماء.. وحولت حياتهم إلى دمار وخراب.

وبعبارة صريحة لا لبس فيها ولا غش، فـإن [السـلفية] هي هذه الطائفة التي اختارت لنفسها أن ترث كبرياء إبليس وعتـوه طغيانه واحتقاره لغيره..

لأن إبليس وإن قال كلمته الخطـيرة: أنـا خـير منـه.. مـرة واحدة.. فإن هؤلاء السلفية يرددونها كل يوم وفي كل حين ومع كل الناس.. بـل إنهم لا يتعـاملون مـع العـالم إلا من آفـاق هـذه الخيرية التي يزعمونها لأنفسهم.. فلذا تراهم يعاقبون مخالفيهم بالهجر والاحتقار والتكفير والتقتيل..

انطلاقا من هذا تحاول هذه القصص أن تصور مشاهد لهـذا الاسـتعلاء والتكـبر، لتوضـح بعض الحقـائق الـتي لم تطـق كتبنـا الأخرى من هذه السلسلة توضيحها..

فهذا الكتاب هو عبارة عن مشاهد درامية مؤلمة تصور مــا ذكرناه في كتابنا [كلكم كفـرة] وغـيره من الكتب الـتي ملأناهـا بالأدلة العلمية الكثيرة على هذا التجبر والطغيان السلفي.

وقد حاولنا في هذه القصص العشرة أن نضع في كل قصة مشهدا من المشاهد المرتبطة بالقضايا المختلفة.. وكلهـا تتفـق على شــيء واحــد، وهــو تصــوير الاســتعلاء الــديني أو الوراثــة الإبليسية.

طائفيون حتى النخاع

لم أكن أظن في يوم من الأيام أن هذا الدين العظيم الذي جعله الله صمام أمان هذه الأمة، وحافظ وحدتها، وموجه مسيرتها، ومصدر حضارتها يتحول بأيدي بعض الناس إلى وسييلة للتفرقة والتشتت والتوحش والأحقاد إلى أن جاء ذلك اليوم الذي أراد الله فيه أن يكشف لعيني هذه الحقيقة، لأراها عيانا، وليس الخبر كالعيان.

في ذلك اليوم أدركت سر قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79]، وأن من معانيها الكبرى أن حقائق هذا الدين التي تمثلت في القرآن الكريم لا يمكن أن يستوعبها أو يدركها إلا من طهر باطن من كل كبر يصرفه عن الحق، أو غروره يبعده عنه.

وفي ذلك اليوم أيضا أدركت سر قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، والتي تشير بوضوح إلى أن الهداية الإلهية محصورة في الأتقياء الذين صفوا بواطنهم من الأحقاد والضغائن كما صفوا ظواهرهم من الصغائر والكبائر.

وعرفت كذلك سر قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: 146]، وأن المراد منها هو حجاب المتكبر.. كل متكبر عن فهم آيات الله، أو إدراك أسرارها.. فالكبر هو الحجاب الأعظم الحائل بين العبد وربه، كما أنه الحجاب الحائل بين العقل وتلقي الحقائق الإلهية.

في ذلك اليوم حضرنا إلى المجلس العلمي لوزارة الأوقاف في بلد لا أسميه، ولكنه قد يكون أمثاله موجودين في كل الأقطار الإسلامية.. وكان الملف المطروح للمناقشة حينها هو النظر في تزكية شخص واحد لحضور مؤتمر دولي للتعريف بالأديان العالمية الكبرى.. بالإضافة لتوليه عضوية مكتب تابع للأمم المتحدة، يكون كمستشار لها في التعريف بالإسلام،

وبكل ما يتعلق من قضايا ترتبط به.

وقد اختيرت تلك الدولة خصوصا لما لها من أهمية ودور وتأثير في جميع بلاد العالم الإسلامي.. إضافة لما عرفت من أحداث تاريخية كثيرة مرتبطة به.

وقد حصل للهيئة قبل ذلك الكثير من المشاكل بسبب الفوضى التي تحصل في تلك الدولة بسبب الشخصيات التي توظفها.. ولذلك طلبت من المسؤولين أن يتولوا هم اختيار الشخصية المناسبة لتولي ذلك المنصب الحساس..

ولعلم المسؤولين أن أسباب كل الفوضى التي تحصل ترجع إلى بعض المتدينين المتشددين الذين استطاعوا بما لديهم من وسائل أن يشعلوا نيران الفتن متى شاءوا، وأن يخمدوها متى شاءوا.. لعلمهم بهذا طلبوا من الهيئة أن تذهب إلى وزارة الأوقاف وإلى مجلسها العلمي..

واجتمع المجلس في ذلك اليوم.. وتقدم مندوب هيئة الأمم المتحدة، وقال: لدي عشرة أسماء لتنظروا فيها.. فمن ترونه أهلا لذلك نصبناه في ذلك المنصب الخطير الذي ذكرته لكم.

قال أحد الحاضرين: أليس من الأجدى أن نقترح نحن الأشخاص الذين يمكن أن يتولوا هذا المنصب؟

قال المندوب: لا.. ليس هذا من عرفنا.. فلدينا مواصفات كثيرة في الأشخاص الذين نوليهم مثل هذه المناصب.. ولذلك لا مناص لكم من اختيار واحد من هؤلاء.. وإلا فسنضطر إلى ترك مكتبكم فارغا.. وستحرمون من حصتكم من المؤتمر الدولي الكبير.

قلب بعض الأوراق أمامه، ثم قال: لا تخافوا.. فكل الشخصيات المقترحة شخصيات علمية، وذات بعد ديني، ولها تاريخ محترم.. بالإضافة إلى ما لديها من الخبرات.. لا تخافوا فقد أخذنا كل ما يخطر على بالكم بعين الاعتبار.

لم يكن مندوب الأمم المتحدة يعرف ما يخطر ببالهم لذلك

جازف تلك المجازفة..

وابتدأ الانتقاء.. وابتدأت معه نيران الأحقاد والضغائن التي لبست لبوس الدين، والدين منها براء.

المعتزلة:

ذكر لهم الشخص الأول، وقال: هذا عالم جليل، له سيرة ذاتيه محترمة، بالإضافة إلى التزامه الديني الشديد، فأرجو أن توافقوا عليه.. فهو في غاية الصلاح والتقوى.. وله تفسير للقرآن الكريم غاية في الجمال، اعتنى فيه ببيان وجوه الإعجاز القرآني، وإظهار جمال نظمه وبلاغته[1]..

قام أحد الحاضرين، وقال ــ صارخا ــ: عرفنا من تقصد.. وهو لا يصلح لذلك المنصب.. ألم تلتفت إلى تلك العقائد العقلانية التي حشا بها تفسيره، والتي هي أقرب إلى الكفر منها إلى الإيمان؟

قال آخر: أجل.. بالإضافة إلى شدته على الطائفة الناجية، فهو يذكرهم بعبارات الاحتقار، ويرميهم بما ليس فيهم، وذلك بالأوصاف المقذعة، ويمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء، ألم تقرؤوا قوله في بعض أشعاره:

لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفة

قال آخر: أجل.. وقد قلت في الرد عليه[2]:

و جماعة كفروا برؤية ربهم ... هذا ووعد الله ما إن يخلفه
و تلقبوا عدلية قلنا ... عدلوا بربهم

---

[1] () أشير إلى تفسير الزمخشري.

[2] () أصل الشعر لابن المنير الاسكندراني.

أجل فحسبهم سفه

و تلقبوا الناجين كلا إن لم يكونوا في

إنهم لظى فعلى شفة

قال آخر: وباعتباري مفتيا.. فقد أفتيت بحرمة قراءة تفسيره قياسا على تحريم العلماء لتفسير الزمخشري الذي أعمته بلاغة القرآن عن حقائقه العقدية التي ذكرها السلف، فقد قال الذهبي: (محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال -أجارنا الله- فكن حذرًا من كشافه)، وقال علي القاري: (وله دسائس خفيت على أكثر الناس؛ فلهذا حرم بعض فقهائنا مطالعة تفسيره؛ لما فيه من سوء تعبيره في تأويله وتعييره)

قال آخر: هل تعلمون بما فسر قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: 42].. لقد فسرها بقوله: (يوم يشتدّ الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو مثل في البخل)[1]

قال آخر: ويله.. ألم يبلغه أن المراد من الساق هو ساق الله سبحان هو تعالى.. وأنه يكشفها يوم القيامة ليتميز السني السلفي من البدعي الجهمي.. لقد قال شيخ الإسلام ردا عليه: (وقد يقال : إنَّ ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود ، والسجود لا يصلح إلا لله)

قام آخر، وصاح بقوة: ألم تعلم أيها المغفل أن هذا الرجل من القائلين بخلق القرآن.. ألم تعلم ما قال سلفنا الصالح وخلفنا الفالح فيمن يقول بذلك.. لقد روي أن رجلا قال للإمام عبدالله بن إدريس: يا أبا محمد إن قبلنا ناساً يقولون: إن القرآن مخلوق، فقال: من اليهود؟ قال: لا. قال: فمن النصارى؟ قال: لا. قال: فمن المجوس؟ قال: لا. فقال: فممن؟ قال: من الموحدين، قال: كذبوا هؤلاء ليسوا بموحدين، هؤلاء

1() تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 594).

زنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق، ومن زعم أن مخلوق فقد كفر، هؤلاء زنادقة، هؤلاء زنادقة)[1]

وعن يحيى بن خلف المقرئ قال: أتيت الكوفة فلقيت أبا بكر بن عياش؛ فسألته: ما تقول في من قال: القرآن مخلوق؟ فقال: كافر، وكل من لم يقل: إنه كافر؛ فهو كافر. ثم قال: أيُشك في اليهودي والنصراني؛ أنهما كافران؟ فمن شك في هؤلاء أنهم كفار؛ فهو كافر، والذي يقول: القرآن مخلوق. مثلهما[2].

وعن يزيد بن هارون قال: من قال: القرآن مخلوق. فهو كافر، ومن لم يكفره؛ فهو كافر، ومن شك في كفره؛ فهو كافر[3].

وعن سفيان بن عيينة قال: القرآن كلام الله عز وجل؛ من قال: مخلوق. فهو كافر، ومن شك في كفره؛ فهو كافر[4].

قام آخر، وقال: ألا تعلم أيها الزنديق الحليق كيف وقف سلفنا الأول من أصحاب القلوب الطاهرة والعقول النيرة من ذلك المعتزلي الخبيث عمرو بن عبيد.. لقد ملأوا حياته عليه غصصا، حتى صار لا يطيق الخروج من بيته من كثرة تأليبهم العوام عليه.

لقد قال عبدالوهاب بن الخفاف: مررت بعمرو بن عبيد وحده، فقلت: مالك؟ تركوك؟ قال: نهى الناس عني ابن عون فانتهوا[5].

قام آخر، وقال: لم يكتف سلفنا الصالح بذلك، بل

1() السنة، لعبدالله برقم 29.

2() السنة لحرب الكرماني، 375.

3() الإبانة ، 257.

4() السنة لعبدالله بن أحمد 25.

5() ميزان الاعتدال، 3/ 274.

استخدموا كل ما لديهم من مكانة لدى السلطان العادل ليقهروا سلف هذا الخبيث وينكلوا به، وقد حـدث أبـو علي البلخي قـال: دخلت على أحمد ابن حنبل، فجاءه رسـول الخليفـة يسـأله عن الاسـتعانة بأهـل الأهـواء ــ ويقصـدون بهم كـل المخـالفين لهم، وخصوصا المعتزلة ـ فقال أحمد: لا يستعان بهم، فقال: يستعان باليهود والنصارى ولا يستعان بهم، فقال: إن النصارى واليهود لا يدعون إلى أديانهم، وأصحاب الأهواء داعية[1].

قـام آخـر، وقـال: لقـد انتقم سـلفنا الصـالح من المعتزلـة بسبب ما فعلوه بإمامنا أحمد شـر انتقـام.. فقـد قـال الطـبري: (وقد كان المتوكِّل لمّا أفضت إليه الخلافة، نهى عن الجدال في القرآن وغيره، ونفذت كتبه بذلك إلى الآفاق، وهمّ بإنزال أحمــد بن نصر عن خشبته، فاجتمع الغوغـاء والرّعـاع إلى موضـع تلـك الخشبة وكثروا وتكلّموا، فبلغ ذلك المتوكّل، فوجّه إليهم نصربن اللّيث، فأخـذ منهم نحـواً من عشـرين رجلاً فضـربهم وحبسـهم، وترك إنزال جثّة أحمد بن نصرٍ من خشـبته لمـا بلغـه من تكثـير العامّة في أمره، وبقي الّذين أُخِـذوا بسـببه في الحبس حينـاً... فلمّا دفع بدنه إلى أوليائـه في الـوقت الّـذي ذكـرت، حملـه ابن أخيه موسى إلى (بغداد) وغسل ودفن وضمّ رأسه إلى بدنه)[2]

الأشاعرة:

بعد أخذ ورد طويلين، قال مندوب الأمم المتحدة: لا بأس.. ما دامتم قد اجتمعتم على عدم القبـول بهـذا الرجـل.. فلننتقـل إلى الشخصية الثانية..

قال ذلك، ثم ذكر لهم اسم الشخصـية الثانيـة، وقـال: هـذا الرجـل أيضـا تتـوفر فيـه جميـع المواصـفات الـتي نحتـاج إلى مراعاتهــا في مكاتبنــا في الأمم المتحــدة، بالإضــافة لقدراتــه العلمية الهائلة، فله ثروة ضخمة من الكتب الـتي تنـاولت جميـع القضايا المرتبطة بالإسلام..

1() الآداب الشرعية والمنح المرعية 1/ 256)

2() تاريخ الطبري: ج 7، حوادث سنة 237، ص 368.

قاطعه أحد الحضور، وقال: بل له ثروة ضخمة من الـدجل والتجهم والتعطيل..

ضحك الجميع، فاستأنف الرجل ـ وهو يصرخ بقوة ــ قـائلا: كيف تريد منا أن نزكي رجلا ممتلئا بالبدع والأهواء.. ألا تعلم أنه أشـعري جلـد.. ألا تعلم أن الأشـعرية ــ كمـا قـال شـيخنا شـيخ الإسلام ـ ليسوا سوى مخانيث.. لقد قال فيهم بصراحته وشـدته السلفية: (ولهذا كانوا يقولون إن البدع مشتقة من الكفـر وآيلـة إليـه، ويقولـون إن المعتزلـة مخـانيث الفلاسـفة، والأشـعرية مخانيث المعتزلة. وكان يحيى بن عمار يقول: المعتزلة الجهمية الذكور، والأشعرية الجهمية الإناث)[1]

وقال فيهم ابن القيم [2]:

ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى	الكفران ينحازوا ولا الإيمان

ويقول بلغة سنية سلفية[3]:

أهـون بـذا الطـاغوت لا عــــز اســـمه	طـــاغوت ذي التعطيل والكفــــــــــران
كم من أسير بل جـريح بل قتيل	تحت ذا الطـاغوت في الأزمـــــــــــان
وترى الجبان يكـاد يخلع قلبه	من لفظه تبا لكل جبـــــــــــان
وتــــرى المخنث حين يقــــرع ســـمعه	تبـــدو عليه شـــمائل النســــــــوان
ويظل منكوحــــاً لكل معــــطـــل	ولكل زنــديق أخـــي

[1]() بيان تلبيس الجهمية ، 6/359.

[2]() شرح قصيدة ابن القيم 2/203.

[3]() شرح قصيدة ابن القيم 2/320.

قال آخر: وقال فيهم شاعرنا الفحل الكبـير أبـو عبـد اللـه محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي:

والآن أهجو الأشعري وحزبه   وأذيع ما كتموا من البهتان
عطلتم السبع السموات العلا   والعرشَ أخليتم من الرحمن
لأقطعن بمعولي أعراضكم   ما دام يصحب مهجتي جثماني
ولأكتبن إلى البلاد بسبكم   فيسير سير البزل بالركبان
يا أشعرية يا أسافلة الورى   يا عمي يا صم بلا آذان
إني لأبغضكم وأبغض حزبكم   بغضاً أقل قليله أضغاني
لو كنت أعمى المقلتين لسرني   كيلا يرى إنسانكم إنساني
قد عشت مسروراً ومت مخفراً   ولقيت ربي سرني ورعاني
لم أدخر عملاً لربي صالحـــــاً   لكن بإسخاطي لكم أرضــاني

قام آخر، وقال: ليس ذلك فقط، بل قد أجمع سـلفنا الأول على تكفير الأشاعرة، لأنهم جهمـة زنادقـة، وقـد قـال في ذلـك فقيهنـا السـلفي الكبـير ابن قدامـة المقدسـي، وهـو يلمح إلى الأشاعرة: (وهذا حال هـؤلاء القـوم لا محالـة فهم زنادقـة بغـير شك، فإنه لا شك في أنهم يظهرون تعظيم المصاحف إيهاما أن فيهـا القـرآن، ويعتقـدون في البـاطن أنـه ليس فيهـا إلا الـورق والمــداد، ويظهــرون تعظيم القــرآن ويجتمعــون لقراءتــه في المحافل والأعريـة، ويعتقـدون أنـه من تـأليف جبريـل وعبارتـه، ويظهرون أن موسى سمع كلام اللـه من اللـه ثم يقولـون ليس

بصوت)[1]

قال آخر: صدقت.. ومثله فعل شيخنا الجليل عبيد اللــه بن سعيد السجزيّ الذي ألـف رسـالة في تكفـير من أنكـر الحـرف والصوت، ويقصد بهم الأشاعرة بالدرجة الأولى، فقد قال نــاقلا لقولهم في المسـألة: (وقـال أبـو محمّـد بن كلاب ومن وافقـه، والأشعري وغيرهم[2]: (القرآن غـير مخلـوق، ومن قـال بخلقـه كـافر إلا أن اللــه لا يتكلم بالعربيــة، ولا بغيرهــا من اللغـات ولا يـدخل كلامـه النظم، والتـأليف، والتعـاقب، ولا يكـون حرفـاً ولا صوتاً)[3]

ثم عقب عليه بقوله: (ومنكر القرآن العربي وأنه كلام الله كـافر بإجمـاع الفقهـاء ومثبت قـرآن لا أوّل لــه ولا آخــر كـافر بإجماعهم، ومدعي قرآن لا لغة فيه جاهل غبي عند العرب)[4]

قـال ثـالث: وهكـذا قـال الشـيخ أبـو إسـماعيل الأنصـاري الهـروي في كتابــه العظيم في [ذم الكلام وأهلــه]، وهــو كتـاب مشحون بتكفير الأشاعرة، وقـد نقـل شـيخنا شـيخ الإسـلام ابن تيمية الكثير منه مستحسنا له، ومن ذلك نقله لقوله: (ولما نظر المبرزون من علماء الأمـة وأهـل الفهم من أهـل السـنة طوايـا كلام الجهمية وما أودعته من رمـوز الفلاسـفة ولم يقـع منهم الا على التعطيـل البحت، وأن قطب مـذهبهم ومنتهى عقـدتهم مـا صرحت به رؤوس الزنادقة قبلهم، والفلك دوار والسماء خاليـة، وأن قولهم إنه تعالى في كل موضع وفي كل شيء مـا اسـتثنوا جوف كلب ولا جوف خنزير ولا حشـا فـرارا من الإثبـات وذهابـا عن التحقيق.. وقال أولئك ليس له كلام إنما خلق كلامـا وهـؤلاء يقولون تكلم مرة فهو متكلم به منذ تكلم لم ينقطــع الكلام، ولا يوجد كلامـه في موضـع ليس هـو بـه، ثم يقولـون ليس هـو في

1() المناظرة على القرآن، ص50.

2() انظر الأشعري في المقالات 2/257.

3() رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: 154)

4() رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: 154)

مكان، ثم قالوا ليس له صوت ولا حروف، وقالوا هذا زاج وورق وهذا صوف وخشب وهذا إنما قصد النفس وأريـد بـه التفسـير، وهذا صوت القاري إما يرى حسن وغير حسن وهذا لفظه أو مـا تراه مجازا به حتى قال رأس من رؤوسهم: أو يكـون قـرآن من لبد وقال آخر من خشب، فراوغوا، فقـالوا هـذا حكايـة عـبر بهـا عن القرآن واللـه تكلم مـرة ولا يتكلم بعـد ذلـك، ثم قـالوا غـير مخلوق، ومن قال مخلوق كافر، وهـذا من فخـوخهم يصـطادون به قلـوب عـوام أهـل السـنة، وإنمـا اعتقـادهم أن القـرآن غـير موجود لفظيـة الجهميـة الـذكور بمـرة والجهميـة الإنـاث بعشـر مرات)[1]

قال آخر: وقد ذكر الشيخ الهـروي سـلفه في هـذا، فقـال: (ورأيت يحـيى بن عمـار مـا لا أحصـي من مـرة على منـبره يكفرهم ويلعنهم، ويشهد على أبي الحسـن الأشـعري بالزندقـة، وكذلك رأيت عمر بن إبراهيم ومشائخنا)[2]

قال آخر: وقد ذهب شيخنا أبو القاسـم اللالكـائي ذلـك في [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعـة]، فقـال: (سـياق مـا دل من الآيات من كتاب الله تعالى وما روي عن رسول اللـه ﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقــة، وأنه أنزله على محمد ﷺ، وأمره أن يتحدى به، وأن يدعو الناس إليه، وأنه القـرآن على الحقيقـة. متلـو في المحـاريب، مكتـوب في المصـاحف، محفـوظ في صـدور الرجـال، ليس بحكايـة ولا عبارة عن قرآن، وهـو قـرآن واحـد غـير مخلـوق وغـير مجعـول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلمـا، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع مخالف لمذاهب السنة والجماعة)[3]

ثم عقد فصلا آخـر خصصـه للأشـاعرة، فقـال: (سـياق مـا

1() بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (4/405)

2() ذم الكلام 1315.

3() شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (2/ 364)

روي في تكفير من قال: لفظي بالقرآن مخلوق)[1]

قال آخر: وقد أحسن شيخنا الجليل الشيخ خالد بن علي المرضي الغامدي صنعا عندما كتب رسالته العظيمة [تكفير الأشاعرة] ، والتي قدم لها بقوله: (هذا كتاب في تكفير الأشاعرة الجهمية، وبيان قول أهل العلم فيهم، وتحقيق إجماع السلف على كفرهم، والرد على من زعم خلاف ذلك، كما وفيه بيان أن من أنكر صفات الله العقلية التي لا تقوم ربوبيته ولا تصح ألوهيته إلا بها كالعلم والقدرة والعلو والكلام والسمع والبصر ونحوها كافر لا يعذر بجهل أو تأويل، وعليه فمن علم منه عبادة غير الله كدعاء الأموات والحكم بغير ما أنزل الله أو إنكار ربوبية الله أو صفاته التي لا يكون الله تعالى ربا إلا بها والتي هي من لوازم ألوهيته وربوبيته فإنه يحكم بكفره ولا يعذر بجهله وتأوله ومن مات على هذه العقيدة فهو مشرك لا يترحم عليه)[2]

وقد أثبت بالأدلة القاطعة انطباق جميع أوصاف الكفر عليهم من كلام سلفنا الأول والآخر.. ورد كذلك على أولئك المميعة الذين يمارسون التقية حفاظا على مصالحهم ومناصبهم وسمعتهم.

قال آخر: وقد شاركه في هذا الكثير من سلفنا المعاصرين كالشيخ عبد العزيز بن ريس الريس الذي كتب كتابه العظيم [تأكيد المسلمات السلفية في نقض الفتوى الجماعية بأن الأشاعرة من الفرقة المرضية]، والذي قدم له وقرظه وأثنى عليه كبار أعلام سلفنا المعاصرين من أمثال: الشيخ المحدث أحمد النجمي، والشيخ عبيد الجابري، بالإضافة لمراجعة كل من الشيخ صالح الفوزان والشيخ المحدث عبدالمحسن العباد.. فقد أثبت في هذا الكتاب كل الأدلة الدالة على كفرهم وتعطيلهم وتجهمهم.

1() شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (2/ 385)

2() تكفير الأشاعرة، ص3.

الماتريدية:

كان مندوب الأمم المتحدة يستمع متعجبا من كل ما يحصل أمام عينيه، ولذلك ترك لهم الفرصة في الحديث إلى أن أخرجوا كل ما في صدورهم من ضغائن على الأشاعرة، وبعدها ذكر لهم شخصة أخرى، وأثنى عليها ثناء شديدا، فقام أحد الحضور بقوة يقول: دعنا من هذا الجهمي المعطل.. لقد رأيت في سيرة حياته أن المحترق زاهد الكوثري كان من مشايخه الذين تتلمذ عليهم.. وأنتم تعلمون ما قال علماؤنا في زاهد الكوثري تلميذ المدرسة الماتريدية الجهمية المعطلة.

قال آخر: صدقت.. وقد صرح شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد حسونة بكفره، وسماه (مجنون أبي حنيفة الجهمي الضال) [1]

قال آخر: وقد عدد شيخنا مقبل بن هادي الوادعي جرائمه وضلالاته، فقال: (يعد من أئمة المبتدعين والمعطلة لصفات رب العالمين.. حيث يذهب في صفة العلو مذهب الجهمية المعطلة، وهو نفي علو الله تعالى بذاته على مخلوقاته، ويرى أن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ويقول عن السلف: الذين أثبتوا علو الله على خلقه واستواءه على عرشه (لا حظ لهم في الإسلام، غير أن جعلوا صنمهم الأرضي صنماً سماوياً).. ثانياً: صفة الاستواء: تابع الكوثري فيها الجهمية، فعطل صفة الاستواء، وحرف نصوصها، وقال : (وللاستواء في كلام العرب خمس عشرة معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله ، فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز على الله بحال، وهو ما إذا كان الاستواء بمعنى التمكن أو الاستقرار.. ثالثاً: صفة النزول: تابع الكوثري فيها الجهمية، فعطل صفة النزول، وحرّف نصوصها إلى نزول الملك.. وحرف حديث النزول تحريفاً لفظياً، فذكر لفظ [يُنزل] بضم الأول وهذا عين المناقضة لمذهب أهل السنة والجماعة.. رابعاً: صفة اليدين: يذهب الكوثري في صفة اليدين مذهب الجهمية المعطلة، فقد عطل صفة اليدين،

1() تسيير سرية من اجتماع الجيوش الإسلامية، ص(39-40)

وحرف نصوصها إلى العناية الخاصة بدون توسط.. أو المراد من اليد: القدرة، وهذا مناقض لمذهب أهل السنة والجماعة، فقد أثبتوا صفة اليدين كما جاءت بها النصوص، ومن لم يحملها على الحقيقة عندهم فهو معطل.. خامساً: صفة الكلام: تابع الكوثري الجهمية في تعطيل صفة الكلام والقول بخلق القرآن، وحرف نصوصها إلى الكلام النفسي، بل.. ويعترف الكوثري بأنه ليس بينه وبين المعتزلة خلاف في كون القرآن مخلوقا، كما أنه لا يرى جواز سماع كلام الله تعالى، فلم يسمع منه جبريل؛ لأن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا بصوت، وهذا مناقض لمذهب سلف الأمة وأئمتها، الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة، وهو أن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود فهو -سبحانه- المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقاً منفصلاً عنه بل سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته..)[1]

قال آخر: وكل هذه المقولات هي مقولات الماتريدي.. بل لا يكون الماتريدي ماتريديا إلا بها.. ولذلك فقد كفر سلفنا الماتريدية كما كفروا الأشاعرة.. ورموهم جميعا في جهنم التجهم والتعطيل.

الصوفية:

بعد أن أفرغ الجمع أحقادهم على الرجل، وعلى قومه من الماتريدية، قام مندوب الأمم المتحدة، وقال: لا بأس.. ما دام هذا الرجل لم يعجبكم.. وربما لا تعجبكم كل الشخصيات التي تستخدم عقلها في الدين، أو تحاول أن تعرض الدين عن طريق العقل.. ولكم الكثير من الحق في ذلك.. فالعقل دوره أن يفهم الدين، لا أن يفرض سلطته عليه.

أعجب الحضور بكلامه، وأخذ بعضهم يكبر.. فقال المندوب: ما دام الأمر كما ذكرتم.. فلدي شخصية ستعجبكم كثيرا وتتفق معكم في هذه الناحية.. فهي ترى أن الدين يفهم بالروح والذوق والتجربة والمعاناة.. ولذلك يرى أن المنهج

1() فضائح ونصائح،ص(266)

الصحيح للوصول إلى حقائق الدين هو الترقي في مقامات السلوك والمعرفة.. ولذلك ألف الكتب الكثيرة التي ذكر فيها تجربته الروحية، ونصح بانتهاجها، بل إنه ــ في عصرنا ــ يشبه أولئك القديسين والأولياء من الصالحين الذين امتلأوا بحب الله وحب أوليائه.

قال آخر: دعك من كل هذا.. وأخبرنا عن هذه الشخصية التي تريد أن تفرضها علينا، فإنا نشم من حديثك روائح بدعة منتنة.. أصابتنا بالغثاء.

تعجب المندوب من هذه الوقاحة، لكنه لم يجد إلا أن يخضع لها، فذكر لهم اسم الشخصية، فوقف الجميع، وصاحوا بصوت واحد: كافر.. كافر.. زنديق.. ضال.. محترق.. حلولي.. قبوري.. ملحد.

لم يجد المندوب ما يجيبهم به، سوى أن طلب منهم الهدوء، وأن يتحدثوا واحدا واحدا ليفهم عنهم.

فقام أحدهم، وكان أكبرهم سنا، وقال: أرى أنك أيها المندوب لا تختلف عن الذباب، فأنت لا تقع إلا على النجاسات والقاذورات.. والشخص الذي ذكرته لنا أبشع هذه النجسات، وأقذر هذه القمامات.. فهو صوفي جلد..

قال المندوب: أنا أعلم أنه صوفي.. ولذلك رغبتكم فيه.. فالصوفية اختاروا منهج الروح والذوق، لا منهج العقل الذي رأيتكم ترفضونه..

قال الرجل: ونحن ننكر هذا أيضا، بل هذا أبشع من أولئك، وأشد كفرا منهم.. فالدين لا يعرف لا بالعقل ولا بالروح.. بل يعرف فقط بالنقل..

قال المندوب: نسيت أن أخبركم أن للرجل تفسيرا للقرآن.. وشروحا للحديث.. وهو بذلك يعرف النقل، ولا ينكره.

قال الرجل: وهذا من أكبر ضلالاته.. فالقرآن لا يفسره.. والحديث لا يشرحه إلا سلفي عرف السلف وأخذ عنهم.. أما

هؤلاء الدجالون الذين يستعملون عقـولهم أو أذواقهم فهم أبعـد الناس عن فهم القرآن والحديث.

قال المنـدوب: نعم أنـا مقـر أن في الصـوفية من انحـرف وغير وبدل.. ولكن هذا الرجل ملتزم بكـل مـا يطلبـه الـدين من قيم وسلوكات، وقد رأيته بعيني..

قاطعـه الرجـل، وقـال: أنت لا تعـرف جيـدا حيـل هـؤلاء الصوفية.. فهم أكذب الناس، وأكثرهم تقيـة.. وقـد كتب شـيخنا الجليل محمود عبد الرؤوف القاسم كتابه العظيم (الكشـف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التـاريخ)، والـذي فضـح بـه جميـع الصوفية أولهم وآخرهم، وبين أنهم جميعا كفرة ملاحدة زنادقة.. وقــد أثبت فيــه بالأدلــة القطعيــة أن جميعهم يقــول بــالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها من الطامات..

لقــد قــال في ذلك: (لا يوجــد إلا صــوفية واحــدة، غايتهــا واحدة، وحقيقتها واحدة (وسـنرى أن طريقتهـا واحـدة) منـذ أن وجدت الصوفية حتى النهاية، وإن اختلفت الأسماء)[1]

ثم قال بعد سوقه للكثير من النصوص من أعلام الصــوفية الكبـار: (هـذه أقـوال لبعض كبـار القـوم، نخلص منهـا إلى أن للصــوفية عقيــدة واحــدة يــدين بهــا كــل المتصــوفة قــديمهم وحديثهم، وأن الطرق الصوفية كالشـاذلية والرفاعيـة والقادريـة والخلوتيــة والنقشــبندية واليشــرطية والمولويــة والبكطاشــية والتجانية وغيرها، وإن اختلفت أسماؤها، فهي كلها تؤدي إلى هدف واحد هو العقيدة الصوفية الواحدة)[2]

قــال آخــر: صــدقت.. بــل اســتطاع أن يكتشــف حيلهم وخداعهم ومكرهم، والذي انطلى حـتى على بعض أصـحابنا من السلفيين الـذين خلطـوا بين أهـوائهم وبين قـول سـلفنا الأول.. لقد قـال يـذكر ذلـك: (.. إننـا أمـام جماعـة باطنيـة لهم عقيـدة سـرية، اسـتهوت عقـولهم ونفوسـهم واسـتحوذت عليهـا، فلا

1() الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص5

2() الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص8.

يهتدون سبيلًا إلا سبيلها، وهم يدافعون عنها بكل ما لديهم من إمكانيات وبالمراوغات والمغالطات واللف والدوران وجميع الأساليب اللاعلمية واللاأخلاقية)[1]

ثم ضرب مثلا على ذلك، فقال:(وكمثل على ذلك: إنهم يعلمون يقيناً وخاصة الواصلون منهم أن الصوفية هي كفر وزندقة بالنسبة للشريعة الإسلامية، ومع ذلك فهم يكتمون هذه الحقيقة ويشيعون بين الناس أن الصوفية هي قمة الإسلام والإيمان وهي منتهى التقى والورع، وهي مقام الإحسان، وقد انطلت هذه الخدعة على الناس وصدقوها، حتى لو قلت لأحدهم: إن الصوفية زندقة، لثار عليك واتهمك الاتهامات التي لا تخطر لك على بال، رغم أنه ليس صوفيًّا، ولكنه اقتنع بالخدعة وانجرت عليه ذيولها)[2]

قال آخر: ليس الأمر قاصرا على من ذكرتم، فكل سلفنا متفقون على تكفير من يقول بأقوال الصوفية..ولو لم يكن في ممارساتهم إلا تعظيم القبور وعبادة الأصنام لكان ذلك كافيا..

قال آخر: لذلك حاربهم شيخنا الكبير مجدد الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقتلهم وشردهم.. بل سبى نساءهم وأطفالهم لأنهم مشركون مرتدون..

قال آخر: لقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بدولة التوحيد هذا السؤال: (ما هي حقيقة هذه الطرق الكثيرة عندنا مثل: الشاذلية، والأحمدية، والسعدية، والبرهانية، وغيرها..)، فأجابت بهذا الجواب السلفي العظيم: (طريقة الشاذلية والأحمدية والسعدية والبرهانية ونحوها من الطرق طرق ضلال، لا يجوز للمسلم أن يتبع واحدة منها)[3]

قال آخر: صدقت، وقد قال شيخنا الكبير ابن جبرين: (أما

1() الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص8.

2() الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص9.

3() فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: 3/ 141.

الصوفية في هذا الزمان ومنهم من يعرفون بالتيجانية وغـيرهم، فإنهم قد انتحلوا طرقا، وصارت لهم مقامات وخواص تصادم الأدلة؛ حيث يعتقدون في أوليائهم الأقدمية على الرسل الكرام، ويزعمون أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، ويرجعون إلى أقوال مقدميهم، ويحكمونهم في الأنفس والأزواج والأموال، ويعتقدون فيهم العصمة وملكية التصرف، ونحو ذلك من الاعتقادات السيئة، فما داموا كذلك فهم مجانبون للصواب، ومحادون لله ورسوله، فلا نعرف لهم فضلا ولا كرامة)[1]

قال آخر: وقال الشيخ الفوزان: (.. ومن ذلك الطرق الصوفية فإنها طرق مبتدعة محدثة ليست من دين الإسلام بل هي من دس أعداء الإسلام وتلقفها كثير من الجهال أو من الضلال الذين يريدون أن يحتالوا بها على الناس ويتزعموا بها على الناس بالباطل فالطرق الصوفية طرق محدثة وطرق فاسدة وطرق ضالة مخالفة لهدي الرسول ﷺ.. ومن ذلك الطريقة التيجانية فإنها من أضل الطرق الصوفية وأفسدها ولها عقائد كفرية وقد أنقذ الله منها بعض معتنقيها فردوا عليها وكتبوا في بيان كفرها وضلالها الكتابات الطيبة المفيدة وهي مطبوعة ومتداولة ولله الحمد)[2]

قال آخر: لم يكتف علماؤنا بتكفيرهم لأعلام الصوفية المارقين.. ولا بتكفير أصحاب الطرق الصوفية الضالين.. بل كفروا كل من يرتبط بالصوفية من قريب أو من بعيد.. حتى يحموا حمى التوحيد من كل جبار عنيد.

قال آخر: صدقت.. ولذلك كفر مجدد الإسلام الأكبر، شيخنا محمد بن عبد الوهاب كل أهل زمانه لتصوفهم وضلالهم وعودتهم إلى الجاهلية.. وقد قال مؤرخنا الكبير ابن غنام يذكر كيف كان الحال في عهده: (كان غالب الناس في زمانه – أي الشيخ محمد بن عبدالوهاب – متضمخين بالأرجاس متلطخين

1() مجلة البحوث الإسلامية (9/ 171)

2() مؤلفات الفوزان، 24/88.

بوضر الأنجاس حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة بالأرماس... فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث والخطوب المعضلة الكوارث، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات، وكثير يعتقد النفع والضر في الجمادات)[1]، ثم ذكر صور الشرك في نجد والحجاز والعراق والشام ومصر وغيرها.

قال آخر: وقال أميرنا العادل سعود بن عبدالعزيز في رسالة له إلى والي العراق العثماني واصفاً حال دولتهم: (فشعائر الكفر بالله والشرك هي الظاهرة عندكم مثل بناء القباب على القبور وإيقاد السرج عليها وتعليق الستور عليها وزيارتها بما لم يشرعه الله ورسوله واتخاذها عيداً وسؤال أصحابها قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، هذا مع تضييع فرائض الدين التي أمر الله بإقامتها من الصلوات الخمس وغيرها فمن أراد الصلاة صلى حده ومن تركها لم ينكر عليه وكذلك الزكاة وهذا أمر قد شاع وذاع وملأ الأسماع في كثير من بلاد: الشام والعراق ومصر وغير ذلك من البلدان)[2]

قال آخر: بل إن شيخنا عبدالله بن عبداللطيف سئل عمن لم يكفر الدولة العثمانية مع تأييدها للصوفية، فأجاب: (من لم يعرف كفر الدولة ولم يفرق بينهم وبين البغاة من المسلمين لم يعرف معنى لا إله إلا الله، فإن اعتقد مع ذلك أن الدولة مسلمون فهو أشد وأعظم وهذا هو الشك في كفر من كفر بالله وأِرك به، ومن جرهم وأعانهم على المسلمين بأي إعانة فهي ردة صريحة)[3]

قال آخر: وقد قال شيخنا سليمان بن سحمان في قصيدة

1() حسين بن غنام (روضة الأفكار) ص5.

2() الدرر السنية، 1/382.

3() الدرر السنية، 8/242.

له لا زال أطفالنا ينشدونها[1]:

وما قال في الأتراك من وصف كفرهم فحق فهم من أكفر الناس في النحل
وأعداهم للمسلمين وشرهم ينوف ويربو في الضلال على المللْ
ومن يتول الكافرين فمثلهم ولا شك في تكفيره عند من عقلْ
ومن قد يواليهم ويركن نحوهـــــــم فلا شك في تفسيقه وهو في وجـــلْ

الشيعة:

بعد أن أفرغ الجمع أحقادهم على الرجـل، وعلى الصـوفية جميعا، قام مندوب الأمم المتحـدة، وقـال: لا بـأس.. لن أفـرض عليكم شخصا لا يناسبكم.. ما زال في جعبتي غيره.. لكن أرجـو أن تتنازلوا قليلا فـ:

من ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلًا أن تُعدّ معايبه

قـال أحـدهم: هـات مـا عنـدك.. ودعـك من هـذه الخـدع الإبليسـية والمـؤامرات التلبيسـية، فنحن نعـرفكم جيـدا أيهـا المتآمرون على السنة والسلف.

تجهم وجـه المنـدوب، لكنـه كظم غيظـه، وسـمى لهم الشـخص الخـامس، فصـعق بعضـهم، وصـاح بعضـهم.. وحـدثت فوضى كبيرة تعجب المندوب عجبا شديدا بسببها، فراح يسـأل: ما الذي حصل.. هل سـميتم لكم اسـم الشـيطان حـتى يحصـل لكم كل هذا؟

قال أحدهم: اسكت أيه الأحمق المغفـل.. إن الـذي ذكرتـه أخطر من الشيطان نفسه.

1() (ديوان ابن سحمان) ص 191..

قال المندوب: الذي أعلمه أنه مسلم.. وأن له كتبا في القرآن والسنة.. وأن له جهودا طيبة في خدمة العلم وفي الدعوة للإسلام.

قال الرجل: ولم تعلم أيها المغفل أنه رافضي خبيث منتن الرائحة..

قال المندوب: لا تقل هذا.. فرائحته طيبة جدا، وهو من أصدقائي المقربين، يدخل بيتي وأدخل بيته..

قال الرجل: لقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين ذكر أن الرافضة هم أقرب الناس لأعداء الإسلام من أمثالكم..

أراد المندوب أن يتحدث، فقاطعه أحدهم قائلا: يا قوم.. ألا ترون أين وصل بنا الأمر.. لقد صار للرافضة أحفاد ابن سبأ.. شر من وطئ الثرى وجود في هذه البلدة.. وصاروا يذكرون أسماءهم من غير أي تقية أو خوف.. وكل ذلك بسبب تقصيرنا في ردعهم والتحذير منهم كما كان يفعل سلفنا الصالح.

قال آخر: صدقت.. لقد فرطنا كثيرا في ذلك التراث الكبير من التكفير والتضليل والسباب التي كان يكيلها سلفنا الصالح للرافضة.

قال آخر: صدقت.. لقد كان الشعبي ينظر من وراء حجب الغيب لخطورتهم الشديدة على الإسلام.. فلذلك حذر منهم تحذيرا شديدا، فقال: (ما رأيت أحمق من الخشبية[1] [يقصد الشيعة]، لو كانوا من الطير لكانوا رخما، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا، والله لو طلبت منهم أن يملؤوا هذا البيت ذهبا على أن أكذب على علي لأعطوني، والله ما أكذب عليه أبدا) [2]

1() يقصد الشيعة، والخشبية نسبة إلى الخشب، وذلك لأنهم كانوا يرفضون القتال بالسيف ويقاتلون بالخشب، وذكر ابن حزم (الفصل 5/45) أن بعض الشيعة كانوا لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه.

2() منهاج السنة النبوية 1/ 22)

قام آخر، وقال: صدقت.. وقد رويت بسندي عن الثقاة من سلفنا الصالح أنه قال هذا القول الممتلئ بالحكمة: (أحذركم أهل هذه الأهواء المضلة، وشرها الرافضة، لم يدخلوا في الاسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتا لأهل الاسلام وبغيا عليهم)[1]

قال آخر: بل أحفظ من أقواله ما يثبت بالأدلة القاطعة عن علاقة الرافضة باليهود وشبههم بهم، فقد قال: (وآية ذلك أن محنة الرافضة، محنة اليهود. قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي، وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء.. واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم.. واليهود تزول عن القبلة شيئا، وكذلك الرافضة، واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة.. واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن. واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة.. واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم ـ والسام الموت ـ وكذلك الرافضة.. واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.. واليهود تبغض جبريل، ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة، يقولون غلط جبريل بالوحي على محمد)[2]

قال آخر: وأحفظ من أقواله ما يثبت بالأدلة القاطعة عن علاقة الرافضة بالنصار والصليبيين، فقد قال: (وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة: النصارى ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة، وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة

1() السنة لعبد الله بن أحمد: 2/549.

2() منهاج السنة النبوية: 1/ 24.

بخصلتين، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم، فسبوهم والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله)[1]

قال آخر: وهكذا كان موقف غيره من سلفنا الصالح.. فقد رويت بسندي عن مسعر بن كدام أنه لقيه رجل من الرافضة فكلمه بشئ.. فقال له مسعر: تنح عني فإنك شيطان)[2] .. ورويت عن محمد بن يوسف الفريابي قوله: (ما أرى الرافضة والجهمية إلا زنادقة)[3]

قال آخر: وقد رويت مثلك بسندي العالي المتسلسل بالسلسلة الذهبية عن القاسم بن سلام قوله: (عاشرت الناس، وكلمت أهل الكلام، وكذا، فما رأيت أوسخ وسخاً، ولا أقذر قذراً، ولا أضعف حجة، ولا أحمق من الرافضة، ولقد وليت قضاء الثغور فنفيت منهم ثلاثة رجال: جهميين ورافضي، أو رافضيين وجهمي، وقلت: مثلكم لا يساكن أهل الثغور فأخرجتهم)[4]

قال آخر: وقد رويت مثلك بسندي الممتلئ بالثقاة والعدول عن أحمد بن يونس قوله: (إنا لا نأكل ذبيحة رجل رافضي، فإنه عندي مرتد)[5]

1() منهاج السنة النبوية 1/ 26)

2() اللالكائي في شرح السنة 8/1457..

3() شرح أصول اعتقاد أهل السنة 8/1457.

4() السنة للخلال 1/499.

5() شرح أصول اعتقاد أهل السنة 8/459.

قال آخر: ورويت بسندي عن إمام الثقاة وسيدهم وصاحب أعظم كتاب في الدنيا الإمام الجليل البخاري قوله: (ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم)[1]

قال آخر: ورويت بسندي عن إمام الجرح والتعديل أبي زرعة الرازي قوله: (إن الجهمية كفار، وإن الرافضة، رفضوا الإسلام)[2]

قام آخر، وقال: أما أنا فأحفظ من نونية القحطاني قوله[3]:

إن الروافضَ شرُّمن وطيءَ الحَصَى ... من كلِّ إنسٍ ناطقٍ أو جانِ
مدحوا النّبيَ وخونوا أصحابه ... ورموُهمُ بالظلمِ والعدوانِ
حبّوا قرابتهَ وسبَّوا صحبه ... جدلان عند الله منتقضانِ

قال آخر: أما أنا فأحفظ كل ما قاله في حقهم إمامنا الجليل شيخ الإسلام والناطق باسمه من لا نظير له في التاريخ ابن تيمية.. فمن أقواله فيهم قوله: (والله يعلم وكفى بالله عليماً، ليس في جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام مع بدعة وضلالة شر منهم: لا أجهل، ولا أكذب، ولا أظلم ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان، وأبعد عن حقائق الإيمان منهم)[4]

ويقول فيهم بثقة عظيمة: (وهؤلاء الرافضة: إما منافق،

1() خلق أفعال العباد (ضمن عقائد السلف) ص125.

2() شرح أصول اعتقاد أهل السنة 1/178.

3() نونيه القحطاني ص21 .

4() منهاج السنة 1/160.

وإما جاهل، فلا يكون رافضي ولا جهمي إلا منافقاً، أو جاهلاً بما جاء به الرسول ﷺ، لا يكون فيهم أحد عالماً بما جاء به الرسول ﷺ مع الإيمان به. فإن مخالفتهم لما جاء به الرسول ﷺ، وكذبهم عليه لا يخفى قط إلا على مفرط في الجهل والهوى)[5]

وقال: (فبهذا يتبين أنهم شر من عامة أهل الأهواء.. وأيضاً فغالب أئمتهم زنادقة إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام)[1]

ويقول عن اشتهارهم بالكذب: (وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب)[2]

الإباضية:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على الشيعة، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن كلمتكم اتفقت على أن هذا الرجل لا يصلح لهذا المنصب الحساس، ولهذا سأذكر لكم غيره.. لا يزال لدي خمسة أشخاص.. فأرجو أن تتنازلوا حتى لا تفوتكم الفرصة في التعريف بدينكم في ذلك المحفل العالمي الكبير..

قال رجل من الجمع: نحن نرضى أن يبقى كرسينا فارغا، ولا نرضى أن يمثل ديننا من لا يستحق أن يمثله.. الإسلام دين عظيم، ولا ينبغي أن يتحدث عنه إلا من يعرفه حق معرفته.

لم يجد المندوب إلا أن يذكر لهم الاسم الخامس، ويشفعه بقوله: هذا رجل عاقل وهادئ ومسالم.. ويمكنه أن يمثلكم خير تمثيل.. فلديه الكثير من القدرات العلمية والأخلاقية..

[5] () منهاج السنة 1/161.

[1] () مجموع الفتاوى 28/482-483.

[2] () منهاج السنة 1/59.

غضب بعض الحضور، وقال: أتأتي لنا برجل من كلاب أهـل النـار.. ثم تـذكر لنـا طيبتـه وأخلاقـك.. ويلـك ألا تعلم أنـه من الإباضية الخوارج الذين وردت الأحاديث الكثيرة بالتحذير منهم؟

قـال آخـر: وليتهم اكتفـوا بخـارجيتهم.. بـل أضـافوا إليهـا التجهم والتعطيل.. فلا تجد إباضيا إلا معطلا ومنكرا للرؤية.

قال آخـر: بـل أضـافوا إلى خـارجيتهم الكثـير من الجـرائم التي عبر عنها شخنا الجليـل سـليل مجـدد الإسـلام الشـيخ عبـد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهـاب بقولـه: (والخـوارج ما عندنا أحد منهم حتى في الأمصار ما هنا طائفـة تقـول بقـول الخوارج إلا الإباضية في أقصى عمان ووقعوا فيما هـو أكـبر من رأي الخوارج وهي عبادة الأوثان ولا وجـدنا خطـك في الخـوارج إلا أن أهل هـذه الـدعوة الإسـلامية الـتي هي دعـوة الرسـل إذا كفروا من أنكرها قلت يكفرون المسـلمين لأنهم يقولـون لا إلـه إلا الله)[1]

قال آخر: ومثلـه قـال الشـيخ سـليمان بن سـحمان: (فإنـه بلغنا عن بعض الإخوان الساكنين بالسـاحل من أرض عُمـان أن في جهتهم جهميـةً وإباضـية وعبـاد قبـور متظـاهرين بمـذاهبهم وعقائدهم، مظهرين العـداوة للإسـلام وأهلـه. وذكـروا أنـه كـان لـديهم أنـاس ممن ينتسـب إلى العلم والطلب يجـادلون عنهم، ويوالونهم، ويفرون إليهم، ويأخذون جوائزهم وصلاتهم، ويأكلون ذبائحهم. وهؤلاء الجهمية الذين كانوا بالسـاحل من أرض عمـان قـد شـاع ذكـرهم وانتشـر خـبرهم، وظهـر أمـرهم من قـديم الزمـان.. حكم الجهميـة، وعبـاد القبـور والإباضـية وغـيرهم من طوائف الكفر ممن قد نشأ في الإسلام، وبين أظهر المسلمين، ويسمعون كتاب الله وسنة رسوله ويقرؤون فيهمـا. وكتب أهـل الفقه وأهل الحديث)[2]

---

[1] المطلب الحميد لعبد الرحمن بن حسن ص 157.

[2] مجموعة الرسائل النجدية 1/72.

بل قال فوق ذلك: (فأما الجهمية، والإباضية، وعباد القبور، فالرفق بهم، والشفقة عليهم، والإحسان، والتلطف، والصبر، والرحمة، والتبشير لهم، مما ينافي الإيمان، ويوقع في سخط الرحمن، لأن الحجة بلغتهم منذ أزمان)[3]

قال آخر: بل استدل شيوخنا شيوخ الإسلام بالحديث الوارد في حقهم على جواز قتلهم، ولو لم يقاتلوا، فقد قال شيخ الإسلام في ذلك: (فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحرورية والرافضة ونحوهم، فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم)[1]، وقال: (اتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها)[2] ، وقال ابن قدامة: (والصحيح إن شاء الله أن الخوارج يجوز قتلهم ابتداء والإجهاز على جريحهم لأمر النبى ﷺ بقتلهم ووعده بالثواب لمن قتلهم)[3]، بل قال ابن هبيرة: (إن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن فى قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفى قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى)[4]

قال آخر: وهكذا أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بدولة التوحيد، فقد سئلت حول حكم الصلاة خلف الإباضية، فأجابت: (فرقة الإباضية من الفرق الضالة لما فيهم من البغي والعدوان والخروج على عثمان بن عفان وعلي، ولا تجوز الصلاة خلفهم)[5]

3() كشف الشبهتين ص 60.

1() مجموع الفتاوى (28/499)

2() مجموع الفتاوى (7/481)

3() المغني (8/526)

4() الإباضية في ميزان أهل السنة والجماعة، ص37.

5() فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم 6935.

الحنفية:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على الإباضية، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن كلمتكم اتفقت على أن هذا الرجل لا يصلح لهذا المنصب الخطير، ولهذا سأذكر لكم غيره.. وأظن أنكم لن تختلفوا عليه، فهو من أهل السنة والجماعة، وإمامه الذي ينتسب إليه إمام من أئمة السلف..

صاح الجميع مبكرين، وقالوا: الآن أتيتنا بما نريد.. ليتك بدأت به.. حتى لا نضيع وقتنا مع أولئك المهرطقين.

ذكر لهم المندوب اسمه، وشفعه بقوله: هو فقيه من فقهاء الكبار، ولديه كتب كثيرة في الشريعة، وفي بيان صلاحيتها لكل زمان ومكان، وهو لم يخض في أي قضية عقدية.. وهو..

قاطعه بعضهم، وقال: وهو جهمي معطل عابد قبور..

ضحك الجميع، فزاد ذلك من جرأة الرجل، ووقاحته، وقال: ألا تعرف أن ذلك الرجل حنفي.. الحنفية منذ بدأوا إلى اليوم وهم بين معطل وجهمي أو عابد قبر أو حلولي أو ملحد..

قال آخر: ألم تسمع ما قال أئمتنا في إمامه الأكبر أبي حنيفة.. لقد حدثني من أثق به بسنده عن إسحاق بن منصور الكوسج، قال: قلت لأحمد بن حنبل: يؤجر الرجل على بغض أبي حنيفة وأصحابه؟ قال: إي والله[1].

وحدثني بسنده عن سعيد بن سلم، قال سألت أبا يوسف وهو بجرجان عن أبي حنيفة، فقال: (وما تصنع به مات جهميا)[2]، وقال: قلت لأبي يوسف أكان أبو حنيفة يقول بقول جهم؟ فقال: (نعم)[3]

وروى عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، يقول: (هو

1() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/180.

2() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/181.

دينه ودين آبائه يعني القرآن مخلوق)[1]

قال آخـر: ورويت بسـندي عن الثقـاة العـدول إلى سـفيان الثـوري أنـه قـال: قـال لي حمـاد بن أبي سـليمان: (اذهب إلى الكـافر يعـني أبـا حنيفـة فقـل لـه: إن كنت تقـول: إن القـرآن مخلوق فلا تقربنا)[2].. وقال: سمعت حمـادا، يقـول: (ألا تعجب من أبي حنيفة يقول: القرآن مخلوق، قل: له يا كافر يا زنــديق)[3]

قـال آخـر: ورويت بسـندي عن سـلام بن أبي مطيـع قـال: (كنت مع أيوب السختياني في المسجد الحرام فرآه أبـو حنيفـة فأقبل نحوه، فلما رآه أيوب قال لأصحابه: قوموا لا يعدنا بجربه، قوموا لا يعدنا بجربه)[4]، وقال: (لقد ترك أبو حنيفة هـذا الـدين وهو أرق من ثوب سابري)[5]

قال آخر: ورويت بسندي عن شريك بن عبد الله أنـه قـال: (لأن يكون في كل ربع من أرباع الكوفة خمار يـبيع الخمـر خـير من أن يكـون فيـه من يقـول بقـول أبي حنيفــة)[6]، وقــال: (أصــحاب أبي حنيفــة أشــد على المســلمين من عــدتهم من لصوص تاجر قمي)[7]

قال آخر: وليت الذي ذكرته اكتفى بأبي حنيفة، بـل أضـاف

3() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/181.

1() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/182.

2() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/184.

3() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/184.

4() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/188.

5() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/189.

6() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/203.

إليه ما مال إليه كل الحنفية أو أكثرهم، وهو التمذهب بالمـذهب الماتريدي في العقيدة.. وهو مذهب جهمي تعطيلي كافر.

قـال آخـر: وليت الأمـر اقتصـر على ذلـك، بـل إن معظم الحنفيــة إن لم نقــل كلهم مــال إلى الصــوفية، وشــرب من مشـاربهم المسـمومة.. فلـذلك لا تجـد حنفيـا إلا كـافرا معطلا حلوليا ملحدا.

المالكية:

بعد أن أفرغ الجمع كـل أحقـادهم وأمـراض نفوسـهم على الحنفية، قام المندوب، وقال: لا بـأس.. أرى أن هـذا الرجـل لم يعجبكم هو الآخر.. اعلموا فقط أنه لم يبق في جعبـتي إلا ثلاثـة أشخاص.. فلذلك حاولوا أن تتنازلوا قليلا.

لم يأبـه الجمـع لكلامـه.. فـراح يـذكر لهم اسـم الشـخص الثامن.. ويشفعه بقولـه: هـذا عـالم كبـير من علمـاء المالكيـة.. وهو ـ كما أعلم ـ ينتسب إلى مالـك الـذي لديـه عنـدكم حرمتـه الخاصة..

قام أحدهم، وقال: ومن ذكر لك أن المالكية أتبـاع مالـك.. أتباع مالك هم تلاميذه الأوائل فقط.. أما من بعدهم، فقد مــالوا إلى مـذهب الأشـاعرة الجهميـة المعطلـة.. ومـال أكـثرهم إلى الطرق الصوفية.. فصاروا حلولية قبورية ملاحدة.

قـال آخـر: صـدقت.. وقـد وقـف كبـار أعلامهم المتـأخرين منهم في وجـه شـيخنا مجـدد الإسـلام محمـد بن عبـد الوهـاب يقـاومون دعوتـه التوحيديـة بـدعواتهم الشـركية.. ولـذلك حكم عليهم جميع بالشرك.. هو وأحفاده وتلاميذه.

قال آخر: بـل قـام من قبلهم بتصـنيف المصـنفات البدعيـة في الــرد على شــيخ الإســلام ابن تيميــة.. وكـل هـؤلاء كفـرة مبتدعـة.. ليس لهم من جـزاء في الآخـرة إلا جهنم.. وليس لهم من جزاء في الـدنيا إلا أن يقتلـوا أو يصـلبوا.. وتـرمى رؤوسـهم

7() السنة لعبد الله بن أحمد، 1/203.

في المزابل.

قال آخر: صدقت.. فكل المالكية الذين أعرفهم كما وصفت.. ولو عاشوا في عهد أميرنا العظيم خالد القسري لضحى بهم كما ضحى بالجعد بن درهم.

الشافعية:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على المالكية، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن هذا الرجل لم يعجبكم أيضا.. ولذلك لكم أن تختاروا بين رجلين فقط.. فلم يبق في جعبتي غيرهما..

قالوا: فمن أولهما؟

ذكر لهم اسمه، وقال: هذا عالم جليل، وله الخبرات المختلفة في المجالات الكثيرة، وأظن أنه سيكون أحسن ممثل للإسلام في هذا المحفل الدولي الكبير.. فأرجو أن تتنازلوا وتقبلوه.

قام أحدهم، وقال: ويل لك.. أتريد أن تفرض علينا الشياطين ليمثلونا.. هذا رجل أفاك لا يختلف عن سابقيه.. فهو أشعري المذهب، صوفي المشرب.. فكيف تريد منا أن نزكي زنديقا هذه صفته.

قال آخر: وهو قد ورث فوق ذلك كثيرا من الرفض والتشيع عن إمامه الشافعي الذي اتهمه سلفنا الصالح بالرفض.. بل أقر هو نفسه بذلك، فقال:

إن كان رفضاً حب آل محمد   فلشهد الثقلان أني رافضي

قال آخر: صدقت.. فالإقرار سيد الأدلة.. وقد نقل شيخنا الذهبي موافقته الشيعة في عدة مسائل فقهية خطيرة كالجهر بالبسملة والقنوت في صلاة الصبح والتختم باليمين[1].

قال آخر: صدقت.. وقد قال عنه الحافظ أحمد بن عبد الله

1() الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لايوجب ردهم ص 32.

العجلي: (هو ثقة، صاحب رأي ليس عنده حديث، وكان يتشيع) [2]

قال آخر: بل إن يحيى بن معين ــ إمام الجرح والتعديل على الإطلاق ــ حكم على الشافعي بأنه ليس بثقة، ومثله المحدث أبو عبيد القاسم بن سلام.

الحنابلة:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على الشافعية، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن هذا الرجل لم يعجبكم أيضا.. ولذلك لم يبق في جعبتي إلا رجل واحد إما أن تختاروه.. أو أنصرف خافي الوفاض.. ليبقى كرسيكم فارغا في ذلك المحفل الدولي الكبير.. ولن يمثلكم حينها أحد.

قال ذلك، ثم ذكر لهم اسم الشخص، وشفعه بقوله: هو عالم من علماء الحنابلة الكبار.. وأرى أنهم أحسن من يمثلكم.. وأنهم أقرب إليكم من كل أحد..

قام أحدهم، وقال: ويلك.. ومن ذكر لك أن الحنابلة كلهم ممدوحون.. بل أكثرهم مذمومون ضالون كافرون منحرفون عن منهج إمامهم أحمد إلى مناهج الزنادقة والمعطلة.

قال آخر: ألا تعلم أن شيخنا مجدد الإسلام محمد بن عبد الوهاب حكم بالردة على كل حنابلة زمانه ما عدا الذين انضموا إلى دعوته؟

قال آخر: ألا تعلم أنه كفر علماءهم أيضا.. فقد كفر الزنديق الكبير محمد بن فيروز الحنبلي الذي كان علما كبيرا من أعلام الحنابلة المارقة على مذهب إمامها.. فقد قال فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (.. وأيضا مكاتيب أهل الأحساء موجودة، فأما ابن عبد اللطيف، وابن عفالق، وابن مطلق، فحشو بالزبيل أعني: سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدق به، أو أنكر الشرك؛ ولكن تعرف ابن فيروز، أنه أقربهم إلى

2() الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لايوجب ردهم ص 32.

الإسلام، وهو رجل من الحنابلة، وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة، ومع هذا صنف مصنفا أرسله إلينا، قرر فيه: أن هذا الذي يفعل عند قبر يوسف وأمثاله، هو الدين الصحيح، واستدل في تصنيفه بقول النابغة:

أيا قبر النبي وصاحبيه ووامصيبتنا لو تعلمونا

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر:

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

ولكن الكلام الأول، أبلغ من هذا كله، وهو شهادة البدو، والحضر، والنساء والرجال، أن هؤلاء الذين يقولون: التوحيد دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض اليهود والنصارى، ويسبونه، ويصدون الناس عنه، ويجاهدون في زواله وتثبيت الشرك، بالنفس والمال، خلاف ما عليه الرسل وأتباعهم، فإنهم يجاهدون ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 193])[1]

قال آخر: بل صرح بذلك في موضع آخر، فقال في رسالة كتبها إلى أحمد بن عبد الكريم جاء فيها: (..وصل مكتوبك تقرر المسألة التي ذكرت، وتذكر أن عليك إشكالا تطلب إزالته، ثم ورد منك مراسلة، تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال، فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام. وعلى أي شيء يدل كلامه، من أن من عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى، وسب دين الرسول ﷺ بعدما شهد به، مثل سب أبي جهل، أنه لا يكفر بعينه. بل العبارة صريحة واضحة، في تكفيره مثل ابن فيروز، وصالح بن عبد الله، وأمثالهما، كفرا ظاهرا ينقل عن الملة، فضلا عن غيرهما؛ هذا صريح واضح، في كلام ابن القيم الذي ذكرت، وفي كلام الشيخ الذي أزال عنك الإشكال، في كفر من عبد الوثن الذي على قبر يوسف وأمثاله، ودعاهم في الشدائد والرخاء، وسب دين الرسل بعدما أقر به،

[1] الدرر السنية في الأجوبة النجدية (10/ 78)

ودان بعبادة الأوثان بعدما أقر بها)[1]

***

بعد أن لم يجد مندوب الأمم المتحدة من الجمع أي تجاوب مع جميع الشخصيات التي ذكرها، قلب بعض الأوراق أمامـه، ثم أخـرج ورقـة منهـا، وقـال: بمـا أنـني فشـلت معكم في اختيـار الشخصية التي تتناسب مع الشروط المحـددة من جهتنـا أو من جهتكم.. وبمـا أنـني لا أرغب في أن يظـل الكرسـي المتعلـق بالإسلام شاغرا حتى لا يتصور أحـد من النـاس أننـا أقصـينا هـذا الـدين العظيم من هيئتنـا، أو يتصـور أننـا منعنـاه من أن يعـرف بنفسه، أو يدلي بمواقفه في القضايا المختلفة، فإنني أتنازل أنا، كما تتنازل الهيئة التي أنتسب إليهـا بـأن نـترك لكم الحريـة في اختيار الشخصية التي تودون أن تمثلكم، وتمثل دينكم.

بمجرد أن قال ذلك، قام أحدهم، وقال: هذا هو الحل.. وقد اقترحناه عليك من البداية، ولكنـك لطرشـك وسـوء نيتـك رحت ترفضه، لتفرض علينا ما يريد هواك، أو ما يريده سادتك.

لم يجد المندوب أمام هذا الصلف والوقاحة إلا أن يطـأطئ رأسه، ثم يقول بأدب: لك الحـق في ذلـك.. لقـد أخطـأت خطـأ كبيرا.. فلو كنت أعلم أن تلك هي مواقفكم لما أضعت وقتي مع كل تلك الشخصيات التي ذكرتها لكم.. والآن من هي الشخصية التي ترونها مناسبة؟

قام أحدهم، وقال: وهل هناك من يشك في الشخصية الي نختارها.. فالأمة كلها مجمعـة عليهـا.. بـل كـل العقـول والفطـر السليمة تؤيدها وتشهد لهـا، لأنهـا تمثـل السـنة بجميـع معانيهـا، وكأنها السنة تمشي..

ثم أخذ بيد شـيخ كبـير أمامـه، وقـال: إنـه هـذا.. إنـه شـيخ الإسلام الأكبر في هذا الزمان.

بمجرد أن قال ذلك، قام آخر، وقال: ويلك أيهـا السـروري

1() الدرر السنية في الأجوبة النجدية (10/ 63)

المنتن، منذ متى كان فيكم مشايخ الإسلام، وأنتم الذين لطختم منهج السلف بمنهج الحركيين والخوارج.. الشخصية التي تمثل الإسلام حق تمثيل.. بل تمثل السلف والخلف هي شيخنا هذا.

وأمسك بيد شيخ كبير أمامه، ورفع يده، ثم استأنف يقول: إنه الوحيد الذي يحفظ الكتب الستة والمعاجم العشرة والمسانيد السبعة.. وهو الذي لديه الأسانيد العالية، وهو..

قاطعة آخر، وقال: اسكت أيها الجامي الحاقد.. يا من حرفتم منهج السلف، وحولتم أنفسكم إلى سدنة للأمراء تأتمرون بأمرهم، وتنتهون عند نهيهم.. اسكت فما أنت وجماعتك إلا مرجئة.. والمرجئة من شر الفرق والمذاهب..

قام آخر، وقال: اسكتوا جميعا، فلا يحق لأحد أن يمثل منهج السلف إلا شيخنا هذا.. فهو وحده الذي لا يزال يحافظ على منهج الإسلام العتيق، وكأنه ابن بطة أو البربهاري.. هل رأيتم في حياتكم من واجه المبتدعة مثلما واجههم.. هل رأيتم أحدا كتب في مواجهة المبتدعة مثلما فعل؟

رد عليه آخر بقوله: اسكت أيها الحدادي الوقح.. يا من شوهتم منهج السلف.. يا من أضحتكم علينا العالم.. يا من..

قام الرجل إليه ولكمة بشدة.. ثم قام آخر يرد عليه.. وهكذا وبعد دقائق محدودة تحولت القاعة إلى قاعة ملاكمة وجيدو وكاراتيه.. وكان من بينهم رجل مسلح من الجماعات السلفية المسلحة، أطلق رصاصة في الهواء جعلت الجمع يقعون على كراسيهم ممتلئين من الرعب.. بمجرد أن سكتوا، قال: ليس لأحد أن يدعي أن له الحق في تمثيل منهج السلف إلا نحن.. فنحن الوحيدون في الميدان الذين نطبق كل وصايا السلف الصالح بقطع الأعناق ورميها في المزابل.. ونحن وحدنا الذي أحيينا سنة الاسترقاق التي عطلها الملاحدة.. ونحن وحدنا الذين نقيم الحدود كل يوم على جميع أنواع المبتدعة من القبورية والروافض والجهمية.. ونحن وحدنا الذين ملأنا العالم رعبا، فتحقق بنا وعد رسول الله ﷺ بأننا الطائفة المنصورة

التي تنتصر بالرعب مسيرة شهر..

قـال ذلـك وغـيره، ثم التفت إلى الجمـع، وقـال: هـل من مخالف لما قلت؟

قالوا جميعـا بصـوت واحـد: كـل مـا ذكرتـه صـحيح.. ونحن نبايعك.. ونبايع كـل من تبـايع.. وبـورك في أيـاديكم الـتي أحيت منهج السلف والسنة..

اغتنم المندوب انشـغال الجمـع بعضـه ببعض، ونجـا بجلـده منهم من غير أن يراه أحد.. وقد بذل المسلح كـل جهـده بعـدها للبحث عنه لكنه لم يجده..

بل لم يره أحـد بعـدها إلا في اليـوم الـذي عقـد فيـه ذلـك المحفـل العظيم الـذي بثتـه جميـع القنـوات الفضـائية العالميـة مدبلجا إلى اللغات المختلفة..

في ذلك اليوم المشؤوم ظهر مندوب الأمم المتحدة، وهــو يقول مخاطبا الجموع الكثيرة ـ بعد أن جـاء دور ممثـل الإسـلام ـ : اعذروني أيهـا الجمـع الكـريم.. لقـد بـذلت كـل جهـدي لأجـد عالما مسلما يتفق عليه الجميع، فلم أستطع لذلك سبيلا.. لكني مع ذلك أحضرت شيئا مهما ربما يعرف بالواقع الإسلامي أحسن تعريف.. إنه فيـديو خطـير جـدا يعينكم على معرفـة المسـلمين وســر تخلفهم وذلهم وضــياعهم.. إنــه يمثــل المجلس الــذي اجتمعت فيه مع كبار علماء المسلمين في البلـدة الـتي انتقوهـا لاختيــار الشخصــية المناســبة.. ولن أطيــل عليكم، لأدعكم مــع الشريط..

قـال ذلـك، ثم شـغل الشـريط الـذي نقـل بدقـة كـل مـا حصل.. وقد تعجبت من كيفية حصـوله على كـل تلـك المشـاهد الدقيقــة، لكــني علمت بعــد ذلــك أن الأمــر رتب بليــل، وأن كاميرات وأجهزة صوتية دقيقة زرعت في جميـع أنحـاء القاعـة، لتنقل كل ما يحصل، لأن المندوب وغيره من مستشــاريه كـانوا يعلمون جيدا بكل ما سيحصل.. وكان ذلـك الفيـديو عنـدهم أهم من كل شيء.. بل أغلى من كل شيء.

لقد كان ذلك الفيديو أكبر تشويه للإسلام والمسلمين، وقد ملأ جميع الحاضرين بالعجب.. وكتبت عنه جميع صحف العـالم.. ونشـرت تفاصـيله الكثـير من القنـوات.. ومنح منـدوب الأمم المتحدة بسببه الكثير من الجوائز.

لكن المشكلة الأكبر من ذلك كله هي أن شخصية خطـيرة رأت ذلـك الفيـديو مـرارا متعـددة، ثم ذهبت إلى الـبيت الأبيض الأمريكي، وطلبت من رئيسه أن يسحب جيوشه من جميـع بلاد العالم الإسلامي.. وأخبره أن المسلمين لا يحتاجون إلى جيـوش خارجيـة.. يكفيهم أن يشـتعل عـود ثقـاب واحـد بينهم ليحـترقوا جميعا.. ومن هناك بدأ التخطيط للحرب الناعمة التي توشك أن تقضي علينا.

قلوب مقفلة

عندما كنت أقـرأ قولـه تعـالى: ﴿ أَفَلَا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُـرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24] كنت أتوهم بسبب حسن نيتي أن الآيـة الكريمـة نـزلت في قـريش أو من حـالفهم من قبائـل العـرب.. أو من أعلنـوا العـداوة بعـد ذلـك لرسـول اللـه ﷺ من اليهود..

لم أكن أعلم أبدا أن قريشا وغطفـان وبـني قريضـة وبـني النظـير لا زالـوا موجـودين في كـل عصـر.. وأن أخطـرهم من يحتكر القرآن، ويتصور أنه الوصـي عليـه.. وأن كـل فهم لا يمـر على منخاله هرطقة وزندقة وضلالة.

إلى أن عشـت الواقـع العملي بعـد أن خـرجت من الـبرج العاجي الجميـل الـذي كنت أعيش فيـه.. والـذي كنت لا أتصـور النفاق أو الجهل أو الضلالة إلا في تلك القبائـل المحـدودة الـتي واجهت رسول الله ﷺ وأعلنت حربها عليه.

وكانت بداية ذلـك صـدمة أصـابتني في مقـاتلي.. سـأحكي لكم عنها لتعرفوا الواقع كما عرفته..

في ذلك اليوم دعينا إلى اجتماع بـالمجلس العلمي لـوزارة الأوقاف في بلد من البلاد الإسلامية، وكان الهدف منه هو تقييم المقالات المقدمـة لطلب المشـاركة في مـؤتمر إسـلامي كبـير يقام في بعض الجامعات الأوروبية، ويهدف إلى تعريـف الغـرب بالقرآن الكريم، وبالحقائق العظيمة التي يحويها.

وقـد أخبرونـا أن وسـائل الإعلام الغربيـة سـتنقل المـؤتمر مباشرة على الهواء في الكثير من القنوات الفضائية، ومترجمـا باللغات المختلفة.

كانت فرصة عظيمة شـعرت بمنـة اللـه علي فيهـا، فلعلي أستطيع أن أزكي مقالة أو مقالتين صـالحتين قـد تكونـان سـببا لهداية الكثير من الناس.. وخاصـة في الغـرب الـذي يعـرض لـه الإسلام دائما على أنه دين تخلف ورجعية وعنف وغير ذلك.

لكني لم أكن أتصور أبـدا أن الريـاح تجـري بمـا لا تشـتهي السفن..

عندما دخلنا قاعة الاجتماع قدم لنا رئيس الجلسـة نصـوص المحاضرات، وطلب منا النظر فيها واحدة واحدة، وإبداء الــرأي في مدى صلاحيتها.. ثم ما لبثنا أن بدأنا نسـتعرض المحاضـرات الواحـدة تلـو الأخـرى.. وقـد شـرفني أعضـاء المجلس العلمي باعتباري ضيفا على بلدهم أن أقدم لهم المحاضـرات وأصـحابها ليبدوا آراءهم فيهـا.. وقـد آذاني ذلـك التشـريف كثـيرا، لأني لم أستطع أن أتفوه بكلمة اعتراض واحدة على الترهات التي كانوا يطرحونها، والشغب الذي كانوا يثيرونه..

القرآن الكريم.. والعلوم الكونية:

أخذت المحاضرة الأولى، وكان عنوانهـا (القـرآن الكـريم.. والعلوم الكونية)، وأريتها لهم، ثم سـلمتهم نسـخا من نصـها، ثم قلت: هذه محاضرة لطبيب وصحفي[1]، وهو صاحب اكتشافات هائلـة في تخصصـه، بالإضـافة إلى تدينـه، واهتمامـه بالحقـائق العلمية القرآنية، وقد ألف في ذلك كتبا، كلها عشـق وهيـام في كتـاب اللـه، وفي الحقـائق الجميلـة الـتي دعـا إليهـا.. وهـو في محاضرته هذه يدعو إلى إعادة قراءة القـرآن الكـريم من خلال الفتوح العلمية التي فتح الله بها على البشرية، والتي تحقق بهـا تأويل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَـهِيدٌ ﴾ [فصلت: 53].. وهو..

قام أحد أعضاء المجلس، وقاطعني بقوة، وقال: دعـك من كل هـذا الإطـراء للـدجالين والمنـافقين، حـتى لا يحشـرك اللـه معهم.. فهذا الرويبضة الدعي أعرفه جيدا.. إنـه من المنحـرفين عن كتاب الله.. إنه من الزنادقة الذين يربطـون القـرآن بـالعلم الحديث..

[1] () أشير به إلى مصـطفى محمـود والضـجة الـتي أحـدثها كتابـه (القـرآن محاولـة لفهم عصري)

قال آخر: الذي لا أفهمه، وما ينبغي لي أن أفهمه، هو أن يجرؤ مفسرون محدثون على أن يخوضوا في كل هذا، فيخرج أحدهم على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعة وكيمياء، وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعة وحيوان وحشرات وجيولوجية وبيولوجيا وفسيولوجيا وأنثروبولوجيا[1].

ضحك الجميع.. وقال أحدهم: صدقت.. لا فض فوك يا ناصر السنة، وقامع البدعة.. يا من جعلك الله شوك سعدان في حلوق المبتدعة.

ثم التفت للجمع من أصحابه، وقال، وكأنه يخطب على منبر: ألا ترون من الغرابة أن يخرج تفسير عصري لكاتب صحفي.. يُخرج للناس ما غاب عن النبي الأمي وقومه البدو، من عصريات التكنولوجيا وحديث الطبيعيات والرياضيات وملاحة الفضاء[2].

قال آخر: المشكلة ليست هنا فقط.. المشكلة أن يتسلل هذا الفهم إلى عقول أبناء الأمة وضمائرهم، فيُرسِّخ فيها أن القرآن الكريم إذا لم يقدم لهم ما لم يفهمه النبي الأمي من بيولوجيا وجيولوجيا وكيمياء عضوية وعلم أجنة وتشريح وأنثروبولوجيا.. فليس صالحاً لزماننا ولا جديراً بأن تسيغه عقليتنا العلمية أو يقبله منطقنا العصري... هكذا باسم العصرية، نغريهم بأن يرفضوا فهم كتاب الإسلام بعقلية نبي الإسلام وصحابته، ليفهموه في تفسير عصري من بدع هذا الزمان.. وباسم العلم، نخايلهم بتأويلات محدثة، تلوك ألفاظا ساذجة صماء عن الذرة والإلكترون وتكنولوجيا السدود وبيولوجيا الحشرات وديناميكا الصلب وجيولوجيا القمر..

قال آخر: هل رأيتم ما قال الأحمق في كتابه الذي أثار ضده كل المخلصين.. لقد قال فيه: (ما قام الدين أبدا منعزلا عن الحياة، ولا قام ليعادي العلم بل إنه قام ليُقدِّم لنا منتهى

1() الكلام الوارد هنا منقول بتصرف من نقد لبنت الشاطئ لمصطفى محمود في كتابها القرآن وقضايا العصر.

2() المرجع السابق.

العلم.. وليقودنـــا إلى اليقين في مقابـــل الشـــك والاحتمـــال والترجيح.. جاء ليقـول كلمـة أخـيرة.. فلا يمكن أن نخـوض فيـه دون أن نخـوض في كـل شـيء.. ودون أن نثـير القضـية كاملـة برمتها علما ودينا)[1]

هـــل رأيتم كيـــف يتلاعب بالكلمـــات ليمـــرر مشـــروعه الشيطاني؟

قـال آخـر: ليس ذلـك فقـط.. بـل انظـروا إلى الـدعي ابن الدعي كيف يفسـر قولـه تعـالى: ﴿مَثَـلُ الَّذِينَ اتَّخَـذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَـذَتْ بَيْتًـا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُـوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُـوتِ لَـوْ كَـانُوا يَعْلَمُـونَ﴾ [العنكبـوت: 41]، لقـد غفـل في تفسيره لها عن قول قتادة: (هذا مثل ضربه الله للمشرك مثــل إلهــه الــذي يــدعوه من دون اللــه كمثــل بيت العنكبــوت واهن ضعيف لا ينفعه)[2] ، وراح يفســرها بقولـه: (والحقيقـة الملفتـة للنظـر هي وصـف بيت العنكبـوت بأنـه أوهن الـبيوت، ولم يقـل القـرآن الكـريم خيـط العنكبـوت، أو نسـيج.. وإنمـا قـال بيت.. والعلم كشف الآن بالقياس أن خيط العنكبوت أقـوى من مثيلـه من الصــلب ثلاث مــرات.. فلمــاذا يقــول القــرآن: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُــوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُــوتِ﴾ ، ولمــاذا يختم بكلمــة ﴿لَــوْ كَــانُوا يَعْلَمُونَ﴾؟)

التفت للحضور، وقال بتعجب: أتدرون بماذا أجاب عن هذه الهرطقة وهذا التكلـف الممقـوت الـذي نهينـا عنـه: (الواقـع أن هنــاك ســراً بجيولوجيــاً كشــف العلم عنــه..فالحقيقــة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة الـبيت بمـا يلـزم الـبيت من أمان وسكينة وطمأنينة، فالعنكبوت الأنثى هي التي تبـني الـبيت وتغزل خيوطه، وهي الحاكمـة عليـه، وهي تقتـل ذكرهـا بعـد أن يلقحها وتأكله، والأبناء يأكل بعضهم بعضاً، ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده.. و تغزل الأنثى العنكبوت بيتها ليكون فخـاً وكمينـاً ومقتلاً لكل حشـرة.. وكـل من يـدخل الـبيت من زوار وضـيوف

1() مصطفى محمود، القرآن.. محاولة لفهم عصري، ص 42.

2() تفسير الطبري (20/ 38)

يقتل... أي أنه ليس بيتاَ، بل مذبحة..و أنه أوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ)[1]

هل رأيتم هرطقة فوق هذه الهرطقة؟.. هل رأيتم أحدا من السلف يفسر القرآن بما يسميه البيولوجيا؟.. هل عرف سلفنا الصالح البيولوجيا أصلا؟.. وما الحاجة لمعرفتها؟

قال آخر: صدقت شيخنا الفاضل.. لو كان هذا الرجل في زمن سلفنا الصالح لقطعوا رأسه ورموه في المزابل.. ولو كان في زمن الأمير العادل خالد القسري لضحى به مثلما ضحى بالجعد بن درهم.. ويل لنا كيف عشنا لهذا الزمن الرديء الذي يتجرأ فيه مثل هذا الصعلوك الرويبضة على الحديث عن القرآن.

خفت أن تخرج الأمور عن السيطرة، وأن يصدروا بعض الفتاوى في حق الرجل، فرحت أقول: لا بأس.. أظن أنكم متفقون على أن المحاضرة غير صالحة لإلقائها في المؤتمر..

قالوا جميعا بصوت واحد: أجل.. وكيف تريدنا أن نعرض على العالم تلك الهرطقة المؤدية إلى الزندقة؟

القرآن الكريم.. وسنن التاريخ:

أخذت المحاضرة الثانية، وكان عنوانها (القرآن الكريم.. وسنن التاريخ)، وأريتها لهم، ثم سلمتهم نصوصها، وأنا أقول: هذه محاضرة لعالم جليل أفنى عمره مع القرآن الكريم تلاوة وتدبرا وبحثا.. وقد استخرج الكثير من النظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من خلاله.. وهو في محاضرته هذه يستنبط لنا السنن التي تسير عليها حركة التاريخ.. وهو..

قاطعني أحدهم، وهو يقول: دعنا من الثناء عليه.. فأنا أعرفه أكثر مما تعرفه.. إنه من المنحرفين عن كتاب الله.. إنه يستعمل الرأي في تفسيره لكتاب الله.. بل إنه بدل البحث عن سنن رسول الله ﷺ الواردة في القرآن الكريم راح يبحث عن

1()القرآن محاولة لفهم عصري، 251.

سنن التاريخ فيه.. أليس ذلك عجبا؟

ضحك الجميع، فقام آخر، وقال ــ وهو يخطب بصوت مرتفع، ويلوح بيده ذات اليمين وذات الشمال ــ: يا قوم.. إن هذه هي السفسطة بعينها.. لقد رأيته يتلاعب بالألفاظ ليحاول أن يقنع من يقرأ له أو يستمع أن هناك شيئا اسمه (سنن التاريخ)، وأن القرآن الكريم قد دعا إلى مراعاتها.. عجبا.. هل نحن مطالبون بمراعاة سنة رسول الله ﷺ أم مراعاة سنن التاريخ؟

أخرج آخر وثيقة من محفظته، وقال: كنت أعلم أن اسم هذا الأفاك سيعرض هنا، ولهذا أتيتكم بما يثبت إدانته.. فمن كلامه تدينونه.

انظروا ماذا يقول: (لقد بُحثَ في القرآن الكريم الجزء الأعظم من مواده ومفرداته من زوايا مختلفة، وهناك أيضاً زاوية أخرى للبحث تضاف إلى تلك الزوايا، من زاوية مقدار ما تلقي هذه المادّة من أضواء على سنن التاريخ، على تلك الضوابط والقوانين والنواميس التي تتحكّم في عمليّة التاريخ، إذا كان يوجد في مفهوم القرآن شيءٌ من هذه النواميس والضوابط والقوانين)[1]

هل رأيتم كيف يتصور ببلاهته وجنونه أن سلفنا الصالح تركوا له ولغيره أي زيادة يمكنه أن يضيفها لفهم القرآن..

قال آخر: بل انظر إليه كيف ينتقد نقدا مبطنا تفاسير سلفنا الصالح للقصص القرآني.. لقد قال في ذلك: (فمثلا قصص الأنبياءعليهم السلام، التي تمثل الجزء الأعظم من هذه المادة القرآنية. فحصت قصص الأنبياء من زاوية تاريخية تناولها المؤرخون واستعرضوا الحوادث والوقائع التي تكلم عنها القرآن الكريم. وحينما لاحظوا الفراغات التي تركها هذا الكتاب العزيز، حاولوا أن يملؤوا هذه الفراغات بالروايات والأحاديث، أو بما هو مأثور عن أديان سابقة، أو بالأساطير والخرافات، فتكونت

1() النصوص المنقولة هنا بين قوسين هي من كتاب [المدرسة القرآنية للسيد الشهيد محمد باقر الصدر]

سجلات ذات طابع تاريخي لتنظيم هذه المادة القرآنية)

هـل رأيتم كيـف يتجـرأ على تلـك الـثروة العظيمـة من الروايـات الـتي حكاهـا لنـا سـلفنا الصـالح عن الأنبيـاء.. والـتي لولاهم مـا عرفنـا كـل تلـك التفاصـيل؟.. بـل لـولاهم مـا عرفنـا الأنبياء أصلا.. هل رأيتم كيف يصفها بالخرافة والأسطورة؟

أخذ أحـدهم الوثيقـة منـه، وراح ينظـر فيهـا مليـا، ثم قـال والدهشـة باديـة على وجهـه: واويلاه.. انظـروا مـاذا يقـول المجـرم.. إنـه يريـد أن ينفي القضـاء والقـدر بسـنن التـاريخ.. اسمعوا ماذا يقول.. إنه يقول:(هذا المفهوم القرآنيّ يعتبر فتحـاً عظيمـاً للقـرآن الكـريم، لأنّنـا في حـدود مـا نعلم، القـرآن أوّل كتابٍ عرفه الإنسان أكّد على هذا المفهوم، وكشف عنـه وأصـرّ عليه، وقاوم بكلّ ما لديه من وسائل الإقنـاع والتفهيم. الإنسـان الاعتياديّ كان يفسّر أحداث التاريخ بوصفها كومـةً متراكمـةً من الأحداث، يفسّرها على أساس الصدفة تارةً، وتـارةً أخـرى على أساس القضاء والقدر والإستسـلام لأمـر اللـه سـبحانه وتعـالى. القرآن الكريم قاوم هذه النظرة العفويّـة، وقـاوم هـذه النظـرة الإستسلامية، ونبّه العقل البشريّ إلى أنّ هذه الساحة لها سننٌ، ولها قوانين، وأنّه لكي تستطيع أن تكون إنسـاناً فـاعلاً مـؤثّر، لا بدّ لك أن تكتشف هـذه السـنن، لا بـدّ لـك أن تتعـرّف إلى هـذه القـوانين، لكي تسـتطيع أن تتحكّم فيهـا، وإلا تحكّمت هي فيـك وأنت مغمض العيـنين.افتح عينيـك على هـذه القـوانين، افتح عينيك على هذه السنن، لكي تكون أنت المتحكّم، لا لكي تكون هذه السنن هي المتحكّمة فيك..)

قـال آخـر: أعطـني الوثيقـة لأرى.. أظن أنـه لا ينبغي أن نكتفي بمنعه من تقديم المحاضرة فقط، بل علينا أن نبين لولي أمرنا الصالح خطره ليقرر فيه قراره المناسب..

أخذ الوثيقة، وراح يقرأ فيها، ثم صاح: انظروا كيـف يفسـر قولـه تعـالى: ﴿وَلِكُـلِّ أُمَّةٍ أَجَـلٌ فَـإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْـتَأْخِرُونَ سَـاعَةً وَلا يَسْـتَقْدِمُونَ﴾.. إنـه لا يرجـع فيهـا إلى قتـادة ولا إلى عكرمة.. ولا يستند إلى السعدي ولا إلى الطبري.. بل هو يعمـل

عقله المجرد.. اسمعوا ماذا يقول.. إنه يذكر أن (الأجـل أضـيف إلى الأمّـة، إلى الوجـود المجمـوعيّ للنـاس، لا إلى هـذا الفـرد بالذات، أو ذاك الفـرد بالـذات. إذاً، هنـاك وراء الأجـل المحـدود المحتوم لكلّ إنسانٍ بوصفه الفرديّ، هنـاك أجـلٌ آخـر وميقـاتٌ آخر للوجود الاجتماعي لهـؤلاء الأفـراد، للأمّـة بوصـفها مجتمعـاً ينشئ ما بين أفراد العلاقات والصـلاحيّات القائمـة على أسـاس مجموعةٍ من الأفكار والمبـادئ المسـندة بمجموعـةٍ من القـوى والقابليّات. هذا المجتمع الذي يعبر عنه القـرآن الكـريم بالأمّـة، هذا له أجلٌ، له موتٌ، له حياةٌ، له حركةٌ، كما أن الفـرد يتحـرّك فيكون حيّاً ثمّ يموت. كذلك الأمّة تكون حيّة ثمّ تموت. وكمـا أنّ موت الفرد يخضع لأجلٍ ولقـانونٍ ولنـاموس، كـذلك الأُمم أيضـاً لها آجالها المضبوطة)

أخذ آخر نص المحاضرة، وراح يتطلع فيهـا مليـا، ثم صـاح: ويله.. ثم ويله.. هل ترون ماذا يقول.. إنه يريد أن ينفي كـل مـا ورد في السـنة من أن القيامـة تقـوم على شـرار الخلـق.. إنـه يــزعم أن مســتقبل البشــرية ممتلئ بالســعادة.. وأن الــدين سيتحقق بالصورة الكاملة.. إنه بهذا ينفي الـدجال والجساسـة.. إنه ينفي كل مـا ورد من نبـوءات عن مسـتقبل البشـرية الـذين يسود فيه الجهـل والظلام.. إنـه يريـد أن يقنـع القـارئ بـأن في الخلف من سيكون أفضل من السلف..

أخذ المحاضرة رجل بجانبه، وقـال: أرني.. فأنـا أكـاد أتيقن أنه رافضي مجوسي ملحد خبيث.

ثم تطلع في المحاضرة قليلا، ثم قال: أجل.. لقـد شـككت في ذلك منذ البداية.. انظروا إنه يعتـبر المهـدي بدايـة المرحلـة السعيدة للبشرية.. وهو يدعو إلى توفير الأجـواء لظهـوره.. بـل إنه يعتبر كل من عمل لذلك جنديا من جنوده.

قال ذلك، ثم صاح في الحضور: من سمح لهؤلاء المبتدعـة أن يرسلوا محاضراتهم لنا.. وكيف تركتموها تمر؟

ثم مزق المحاضرة بكل حقد، وهو يطلـق كلمـات بذيئـة لا

أطيق كتابتها ولا نقلها لكم.

بعد أجواء انفعالية شديدة قام رجل كان أكثرهم هدوءا وتملكا لأعصابه، وقال: دعونا من هذا الهراء.. هل جئنا هنا لنسمع الهرطقة والزندقة.. أحدهم يربط القرآن بالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا.. والآخر يربطه التاريخ.. ماذا يريد هؤلاء من كتاب ربنا؟

القرآن الكريم.. وعلم النفس:

بعد الجدل الطويل الذي خلفته المحاضرة الثانية، قدمت المحاضرة الثالثة ببرودة لأني أعلم أن مصيرها سيكون مثل سابقاتها، قلت لهم: هذه محاضرة بعنوان (منهج القرآن الكريم في علاج الأمراض النفسية)، وهي مهمة جدا، لأن كاتبها طبيب نفسي..

قاطعني أحدهم بقوة، وهو يقول: وما علاقة الطبيب النفسي بالقرآن.. رحم الله امرؤا عرف قدر نفسه.. ويلنا كيف عشنا لزمان يتجرأ فيه الكل على الحديث عن القرآن.

قام آخر، وقال: إن هذا الرجل مثل سابقيه.. إنه يريد أن يجعل من القرآن كتابا في علم النفس.. إنه يريد منا أن نخلط كلام الله المقدس بما اكتشفه علم النفس المدنس.

قال آخر: صدقت.. لقد كتب كتابا في هذا المجال بعنوان (القرآن وعلم النفس).. وذكر أنه ليس (إلا محاولة لجمع الحقائق والمفاهيم النفسية التي وردت في القرآن، والاسترشاد بها في تكوين صورة واضحة عن شخصية الإنسان وسلوكه، لتمهيد الطريق لنشأة دراسات جديدة في علم النفس تحاول وضع الأسس لنظريات جديدة في الشخصية تتفق مع الحقائق والمفاهيم التي وردت في القرآن)[1]

قال آخر: لقد قرأت الكتاب.. إنه مشحون بالضلال

[1]() أشير به إلى د. محمد عثمان نجاتي أستاذ علم النفس بجامعتي القاهرة والكويت كتابه القيم بعنوان (القرآن وعلم النفس)

والزندقة.. لقد ذكر في الفصل الأول من الكتاب، والـذي عنونـه بـ (دوافع السـلوك في القـرآن) أن مشـيئة اللـه اقتضـت وجـود الـدوافع الفسـيولوجية في فطـرة كـل من الإنسـان والحيـوان لتحقيق حفظ النوع.. وذكر أنه لا يوجد في القرآن أو السـنة مـا يشير إلى استقذار هذه الدوافع أو إنكارها أو ما يدعو إلى كبتها، إنمـا يـدعو القـرآن إلى السـيطرة على الـدوافع والتحكم فيهـا وإشباعها فقـط في الحـدود الـتي يسـمح بهـا الشـرع لمصـلحة الفرد والجماعة.

ألا ترونـه في هـذا يتفـق مـع مـا يـدعو إليـه الليـبراليون والوجوديـون والملاحـدة.. فكيـف نصـلح أنفسـنا إن لم نكبت ونقاوم دوافعها الغريزية؟

قال آخر: بلى.. والأخطر من ذلك أنه راح يخضـع معجـزات الأنبيـاء لهرطقـات علم النفس.. لقـد ذكـر في كتابـه أن هنـاك نوعـا من الإدراك الحسـي الخـارج عن نطـاق الحـواس مثـل الاستشفاف[1]، والتخاطر[2]، والاستهتاف [3]..وذكر مثالا لذلك بما ورد في القرآن الكريم من أن يعقوب عليه السلام شم ريح ابنه يوسف حينما تحركت القافلة التي تحمـل قميصـه من أرض مصر بعيدا عن المكان الـذي يوجـد فيـه يعقـوب بمسـيرة عـدة أيام.

قال آخر: والأخطر من ذلك أنـه راح يحـول العبـادات الـتي أمرنـا اللـه بأدائهـا إلى مصـحات نفسـية، ليس الغـرض منهـا العبادة، وإنما معالجة المشاكل النفسية.

قال آخر: أجل.. لقد حول الصلاة بفهمه السقيم من عبـادة للـه إلى وسـيلة لتحقيـق الصـفاء الـروحي والاطمئنـان القلـبي والأمن النفسي. واعتبر أن انصراف الإنسان عن مشاكل الحياة أثناء الصلاة يبعث فيه حالة من الاسترخاء التـام وهـدوء النفس،

1() هو رؤية الأشياء أو الأحداث البعيدة الخارجة عن مجال حاسة الإبصار.

2() هو إدراك خواطر وأفكار شخص آخر يكون في الغالب في مكان بعيد.

3() هو سماع نداء أو حديث من مكان بعيد خارج عن مجال حاسة السمع.

وراحة العقل وبالتالي يساعد ذلك على تخفيف حدة التوترات الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية.

قال آخر: بل إنه ذكر عند حديثه عن الدعاء كلاما خطيرا، فقد قال: (وفي الدعاء يقوم الإنسان بمناجاة ربه ويبث إليه ما يشكوه وما يعانيه من مشكلات تزعجه وتقلقه. وإن مجرد تعبير الإنسان عن مشكلاته يساعده علي التخلص من القلق، وإذا كانت حالة الإنسان النفسية تتحسن إذا أفضي الإنسان بمشكلاته لصديق حميم، فما بالك إذا أفضي بمشكلاته لله سبحانه)

قال آخر: ونفس الشيء قام به من تحريف الصيام عن معناه العبادي إلى معناه النفسي.. فذكر أن (للصيام فوائد نفسية عظيمة، ففيه تربية وتهذيب للنفس وعلاج لكثير من أمراض النفس والجسم، فالصيام تدريب للإنسان علي مقاومة شهواته والسيطرة عليها، وبالتالي تعليم الإنسان قوة الإرادة وصلابة العزيمة في سلوكه العام بالحياة.. والصيام يجعل الغني يشعر بآلام الفقير فيدفعه ذلك إلى البر والإحسان وبالتالي تقوي روح التعاون والتضامن في المجتمع)

قال آخر: ونفس الشيء قام به من تحريف الزكاة حيث ذكر أنها (تعلم المسلم حب الآخرين، وتخلصه من الأنانية وحب الذات والبخل والطمع وتقوي الشعور بالانتماء الاجتماعي)

قال آخر: ونفس الشيء قام به من تحريف الحج.. حيث ذكر أن (زيارة الأماكن المقدسة تمد المسلم بطاقة روحية روحية عظيمة تزيل عنه كروب الحياة وهمومها، وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة... والحج تدريب علي تحمل المشاق والتعب وعلى التواضع، ويقوي الروابط بين المسلمين من جميع الأجناس والأمم والطبقات)

قال آخر: بل إنه عند حديثه عن التوبة حولها عن مسارها تماما، فذكر أن (الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق، مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض

النفسية.. ويمدنا القرآن بأسلوب فريد في علاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة، فالتوبة تغفر الذنوب، وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله فتخفف من حده قلقه)

قام آخر، وقال: أرى أن الرجل زنديق، وأنه لا يكفي أن نرمي محاضرته في المزبلة.. بل نحتاج إلى رمي رأسه أيضا..

كبر الجميع لكلماته هذه.. وكبرت معهم خشية على رأسي أن ترمى.. واستغفرت في سري من ذلك التكبير الذي لا أزال نادما عليه.

القرآن الكريم.. وسنن التغيير:

بعد الجدل الطويل الذي خلفته المحاضرة الثالثة، أخذت المحاضرة الرابعة، وقلت لهم: وهذه محاضرة بعنوان (القرآن الكريم.. وسنن التغيير).. وهي لجودت ..

وضع أحدهم يده في فمه، وهو يقول: اسكت.. ولا تنجس فمك بذكر اسمه.. إنه رويبضة مارق، تلميذ من تلاميذ الهنود المشركين.. لقد تأثر بمقولات غاندي في اللاعنف، بل هو يتصور أن الدين يمكن أن ينتشر ويؤمن الناس به من غير أن نستعمل أي سيف أو رمح.. إنه يريد منا أن نقتدي ببلال الحبشي والحسين.. لا بخالد والقعقاع.. إنه يريد أن يجعل من المسلمين شعباً من الشهداء، أو أمة من القتلى.

قال آخر: صدقت.. فقد رأيته في كتابه [مذهب ابن آدم الأول] يدعونا إلى أن نقول لمن يريد قتلنا: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: 28]غافلا على أن الآية مرتبطة بشرع من قبلنا، لا بشرعنا.. لأن شرعنا شرع لنا أن نعاقب، بل أن نبادر إلى العقوبة.. فلا دين من دون عنف.. وهو يقول باللاعنف.

قال آخر، وكان يظهر عليه الهدوء والوقار[1]: لقد بحثت

[1] () الانتقادات الموجهة لجودت سعيد هنا منقولة بتصرف شديد من مقال بعنوان: انتهى زمن جودت سعيد، لمحمد نمر المدني.

عن الرجل.. فوجدت أنه ليس عربيا.. لا أبا ولا أما.. بل هو شركسي.. بل هو ـ وإمعانا في حبه لقومه ــ لا يرتدي العمامة التي ارتداها رسول الله ﷺ.. وإنما يرتدي القبعة الشركسية.

وبعد بحث طويل لي في هذا المجال وجدت أن الشراكسة الذين ينحدر منهم هذا الرويبضة متأثرون بالديانة الشامانية القديمة التي كانت تنتشر في القوقاز.. ومتأثرون أيضا بعقائد الزرادشتية والهندوسية والبوذية.. لأن الشراكسة وغيرهم من الأمم غير العربية، وبسبب بعدهم عن لغة القرآن الكريم، بقوا محافظين على الكثير من الهرطقات التي كان يؤمن بها أسلافهم.

قال آخر: صدقت.. فاللاعنف هو عقيدة دينية هندوسية وبوذية وجاينية وطاوية وكونفوشية وتيبيتية، وهي عقيدة عند ديانات جديدة مثل نيو أيج وغيرها.. وغاندي حينما نادى باللاعنف، كان يرتكز إلى مبادئ دينية هندوسية طبقية.. ففي الهندوسية خمس طبقات.. وتعتبر الطبقة الخامسة أدنى تلك الطبقات، ويتوجب عليها دينياً أن تلتزم بمكانتها الطبقية.. وكان غاندي من تلك الطبقة.. ولهذا أطلق شعار اللاعنف.

قال آخر: صدقت.. فاللاعنف في تلك الديانات الوثنية كالهندوسية والبوذية والجاينية مبدأ ديني أساسي، حيث يصور بوذا وجيان وهما (إلهان هندوسيان) يتعايشان مع الأفاعي والنمور والحيوانات. وتنتقل البقرة بحرية وتتبختر في مشيتها في دروب وشوارع الهند، لأن مبدأ اللاعنف الهندوسي يوجب على الناس تقديسها وعبادتها. فلا عنف مع الحيوان ومع الطبيعة ومع النبات ومع الحجر نفسه.. وكلنا نسمع عن النباتيين الذين لا يأكلون لحم الحيوان.. وذلك انطلاقاً من مبدأ اللاعنف الذي يمنع ذبح الحيوان.

قام آخر، وراح يخطب بصوت مرتفع، وهو يلوح بيده ذات اليمين، وذات الشمال: يا قوم.. ما هذا.. أين وصل بنا الأمر.. هذه عاقبة ابتعادنا عن منهج السلف.. أخبروني بربكم ما حاجتنا لأن نعتقد بعقائد أولئك الذين حرموا من نعمة الإسلام ؟.. ما

حاجتنا لأن نعتقد بعبارة قالها قزم حقير منبوذ اسمه غاندي؟

ثم راح يسرع في كلامه، ويرطن فيه، حتى أني لم أفهم ولو كلمة واحدة، فقد كانت كلماته يسابق بعضها بعضا، وكل كلمة تالية تبلع التي سبقتها أو تذبحها..

وبعد فترة طويلة اختلط فيها كلام البشر بأصوات الأنعام، جلس وهو يلهث من كثرة حديثه.. فقام آخر أكثر هدوءا، وقال: لا بأس.. مهما كان شأنه.. ومهما كانت الديانة التي تأثر بها.. دعونا نطلع على محاضرته.. فلعله تاب فيها عن تلك الهرطقات التي كان يؤمن بها.

قال ذلك، ثم أخذ المحاضرة، واطلع عليها بسرعة، ثم صاح، وكأن عقربا لدغته[1]: انظروا إلى السفيه الرويبضة ماذا يقول.. يبدو عليه أنه ليس متأثرا بتلك الديانات فقط.. بل هو متأثر أيضا بالشيوعية الملحدة.. أنظروا.. لقد قال معلقا على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]: (الفكر الماركسي لبه ومبتداه ومنتهاه في إدراك محتوى هذه الآية، حيث لمحوا قدرة الإنسان على صنع التاريخ، والقيام بعملية التغيير، فهذا الضجيج الذي أحدثه الفكر الماركسي خلال أكثر من مئة عام، إنما كان تبنّيهم لهذه الفكرة وإدراكهم لها)[2]

هل رأيتم هرقطة فوق هذه الهرطقة.. ألا ترون من العجب أن يصدر مثل هذا الرأي عن رجل يتصور أنه داعية، بل يتصور أنه يسعى لحل مشاكل الأمة الإسلامية، فإذا به يشهد للفكر الماركسي بالأصالة والثناء عليه، وكأنه بأسلوبه هذا يُشعر الناس أن مصدر الفكر الماركسي من كتاب الله، وظن أنه بهذه الطريقة - ومن خلال ذكر الآيات القرآنية - يتمكن من تدعيم منهجه المادي بين المسلمين..

1() بعض الانتقادات الموجهة لجودت هنا من مقالات لعادل التل في مجلة البيان في الأعداد 63، 64، 65، 66. قام بجمعها مع غيرها ونشرها في كتاب بعنوان [أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي]

2() اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، ص219..

أخذ آخر المحاضرة، واطلـع عليهـا قليلا، ثم قـال: الأغـرب من ذلك هو دعوته الشباب المسلم إلى القيـام بعمليـة التغيـير، انطلاقاً من هذا المبدأ، إنهـا دعـوة سـافرة لتبنّي منهج الماديـة، اسـمعوا مـاذا يقـول: (وكـذلك إذا تـذكرنا أن علينـا أن لا نبخس الناس أشياءهم، وأن الحكمة لا تضر من أي وعاء خرجت، فـإن الاعتراف بجانب الصواب الذي في النظرية الماركسية لا يضرنا شيئاً، ولكن إذا رفـضـنا جانب الصواب بسبب جانب الكفر الذي عندهم لا نكون مصيبين)[1]

هـل رأيتم جنونـا فـوق هـذا الجنـون.. فـأي حكمـة عنـد الماركسيين الشيوعيين الملاحدة، وأي صـــواب لـديهم.. وهـل يمكن لعاقل أن يصدق أي مقولة لهم؟

قال آخر، وهو يمسك بالمحاضرة: انظروا إليه، وهو يدعونا إلى الاطمئنان على أنفسنا من الشيوعيين، بل يؤكد أن الخـوف علـى آيات الله مستبعد في ظل الأفكار الشـيوعية فيقـول: (لم يعد هنا ما يجعلنا نخاف على آيـــات الكتـاب، لأن آيـات الآفـاق والأنفس ستبين أن آيات الكتاب هي الحق) [2]

إن لسان حال هذا الإمعـة يقـول من حيث لا يشـعر: خـذوا أفكار الشيوعيين ودَعوا كفرهم.. ولعلـه يسـتمد هـذا من المثـل الشعبي المضلل: (خـــذ مـــن أقـــوالهم وما عليك من أفعالهم)

بـل إنـه عـبر عن ذلـك صـراحة، فقـال: (ولكن حين يصـل (الماركسي) مـن أقواله إلى القول: بأنـه أصـبح بنـاءً على ذلـك من الواجب نبذ كل نظرية إيمانية على الإطلاق - هنا نقـول لـه: إن هذه النتيجة من تلك المقدمة هي الفكرة الطوباوية الناشـئة عن الكراهية والعاطفة لا عن الدراسة الموضوعية) [3]

قال آخـر: صـدقت.. إنـه يـدعو في محاضـرته بصــراحـــة

1() حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص80.

2() حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص80.

3() حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص81.

للتمسك بالفكر الماركسي من خلال الدعوة للأخذ بجانب الصواب الذي اكتشفه في النظرية الماركسية، فيقول: (وحين يقول الماركسي: إن دراسة التاريخ الاجتماعي أصبحت علماً، ينبغي ألا نقول له أخطأت، بل نقول له: هذا حق، وإذا اعتبر أن مظاهر الطبيعة قادرة على إعطائنا حقائق موضوعية، علينا أن نراه تقريراً بأن آيات الآفاق تعطي حقائق موضوعية، ونزيد له أيضاً: بأن آيات الأنفس كذلك تعطي حقائق موضوعية) [1]

هل رأيتم يا قوم في حياتكم جميعا هرطقة أعظم من هذه الهرطقة.. لو أن هذا الرجل كان في عهد سلفنا الأول، وملوكنا الصالحين العادلين، وخصوصا المتوكل منهم، لقطع لسانه كما قطع لسان ابن السكيت..

قال آخر متحسرا: إن سكوتنا نحن عن هذا وأمثاله هو الذي جرأهم على الدين.. ولو أننا انتهجنا معهم منهج سلفنا الصالح لما قامت لهم قائمة، ولدخلوا جحورهم مثلما دخل المعتزلة في جحورهم في عهد سلفنا الأول.

قال آخر: كف عن حزنك يا أخي.. فما باليد حيلة.. لقد كان لهم ملوك عادلون، وخلفاء صالحون، أتاحوا لهم قمع المبتدعة، أما نحن الآن.. فأنتم تعلمون أن هذه الهيئات الدولية المبتدعة صارت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤوننا باسم حقوق الإنسان.. حتى أنهم ألغو الرق.. وهل يمكن لدين من الأديان أن يقوم من غير تشريع الرق؟

قال آخر: لكن لابد من عمل ما.. فلا ينبغي أن نرى أحكام الأسلام وهي تنسخ حكما حكما.. ألغو الرق.. وألغو الخلافة العادلة.. وسيأتي اليوم الذي يلغون فيه الصلاة.

قال آخر: لا تقلقوا.. فالأمور تسير في صالحنا.. وستريكم الأيام رجالا، يحيون هذه السنن جميعا، بإذن السلطان العلني، أو بإذنه الخفي.

1() حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص81.

***

بعـد أن قـدمت الكثـير من المحاضـرات الـتي تحـاول أن تستنبط من القرآن الكريم ما يرتبط بجوانب الحيـاة المختلفـة، لم تبق بين يدي إلا مجموعة محاضـرات كنت أنـوي ألا أعرضـها أبدا، لأنها لم تكن تتناسب إطلاقا مـع الجهـة الـتي سـيقام فيهـا المؤتمر.. بالإضافة إلى أنها بالكاد تفهم من العـرب المختصـين، فكيف بالأجانب..

لكني مع ذلك، وإبراء للذمة، ولبلاهتي وقلة تجربـتي، رحت أقدمها لهم..

أخـذت المحاضـرة الأولى، وقلت بـبرودة: هـذه محاضـرة بعنـوان (لا النافيـة الجنس ومواردهـا في القـرآن الكـريم).. ولا أظنه يصلح لهذا المؤتمر.. فهو..

قاطعني أحـدهم، وهـو يقـول بحماسـة: كيـف تقـول هـذا.. أعـرف صـاحب هـذا البحث جيـدا.. لقـد كتب في كـل الحـروف القرآنية، وبين مواضعها المختلفة، وأحصاها إحصاء دقيقا.

قال آخر: أجل.. محاضراته في قمة الجمال والروعة.. وهو فوق ذلك فصيح.. يخرج الحروف مخارجها بدقة عالية.

قال آخر: أجل.. أجل.. لابد أن نمرر هذه المحاضرة.

قلت: ولكن.. أنتم تعلمـون جيـدا لمن نريـد أن نلقي هـذه المحاضرة..

قالوا جميعا بصوت واحد: دورنا أن تقدم لنـا المحاضـرات، لا أن تلقننا ماذا نفعل..

صمت، ثم أخذت محاضـرة أخـرى بعنـوان (وجـوه إعـراب البسملة)، فطاروا فرحا.. ووافقوا عليها بالإجماع.

أخذت محاضرة أخرى بعنـوان: (التحقيـق العلمي في عـدد فتية أهل الكهف)، فوافقوا بالإجماع من غير اعتراض.

قلت لهم: ولكن ألا تـرون القـرآن الكـريم نهى عن البحث في هذه المسائل؟

غضب أحدهم، وقـال: ولكن سـلفنا بحثـوا فيهـا حـتى أنهم سموا كلب أهل الكهف.. إن معرفة الحقيقة في هذا الباب تـدل على الرســوخ في العلم.. ونحن نمــيز أعلمنــا بمعرفــة هــذه الدقائق.

وهكذا بقيت أقدم لهم أمثال هذه المحاضـرات، فيوافقـون عليها من غير أي اعتراض.

بعد أيام من ذلك الاجتماع أقيم المـؤتمر، ونقلتـه القنـوات الفضائية العالمية، وحضره الأساتذة الكبار.. وقد خرجوا بما أكد لهم كل مواقفهم من الإسلام والمسـلمين.. بـل وأضـافوا إليهـا اعتبار القرآن الكريم سـببا فيمـا يعيشـه المسـلمون من تخلـف وعنف ورجعية.

مناظرة فاشلة

من منطلق قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46] كنت أتابع باهتمام المناظرات التي تجري أحيانا بين علماء المسلمين، ورجال الدين من المسيحيين، ولكني لم أكن أحلم أبدا أن أكون أنا في اليوم من الأيام طرفا في هذا الحوار.. وطرفا فاشلا فيها.

لقد كانت فرصة عظيمة أتيحت لي في الجامعة التي أعمل بها، وفي قسم مقارنة الأديان.. فقد زار بلدتنا بعض رجال الدين المسيحي من العرب، وراح يطلب من الجامعة بكل ثقة مناظرة علمية حول مدى التحريف الذي أصاب القرآن الكريم، وأنه لذلك ليس كلمة الله الأخيرة للبشرية.

وقد كان الموضوع سهلا بالنسبة لي، فلم أحتج إلى تحضير كثير، بل اكتفيت بمراجعة بعض ما كتبته في كتابي (الكلمات المقدسة) الذي خصصته لهذا الغرض.

وجاء اليوم الموعود، وحضر الناس، وبدأت في الحديث حول ما حفظ الله به كتابه من التغيير والتبديل والتحريف.. واستدللت لذلك بالوثائق التاريخية الكثيرة..

وعندما جاء دوره، قال لي، أو للجمهور: أنا ليس من طبعي أن أكثر الحديث في التفاصيل.. أنا أحب فقط أن أدلي بالبينة بسهولة ويسر ليفهمني جميع الناس.. فأجبني بكل صراحة عن كل سؤال أسألك إياه.

قلت: أنا حاضر.. فاسأل ما بدا لك.

تصورت في البداية أنه سيسألني عن بعض الشبهات التي يوردها المبشرون والمستشرقون واللادينيون، والتي عفا عليها الزمن، وحفظت الردود عليها كما أحفظ السورة من القرآن.. لكني فوجئت أنه يسألني أسئلة لا علاقة لها بكل ذلك.. فعلمت أنه يخطط لفخ يريد أن يوقعني فيه.

قال لي: أليس الإقرار أعظم الأدلة؟

قلت: بلى.. ولكن ما تقصد؟

قال: أرأيت إن أتيتـك بشـهادات العقلاء والعلمـاء من أهـل دينك على تحريف القرآن أكون بذلك قد برهنت البرهان الكافي على التحريف؟

لم أدر ما أقول، فأنا أعلم أني لو قلت لـه: لا أقبـل ذلـك.. فسـيغلبني، لأننـا نحن أيضـا نسـتدل على مـا وقـع في الكتـاب المقـدس من التحريـف بشـهادات البروتسـنت واختلاف النسـخ في الكتاب المقدس ونحو ذلك.

وإن قبلت.. فسأصدم أيضا.. لأني لا أدري ما الذي يخطــط له.

لم أدر إلا وأنـا أقــول من غــير أن أشــعر: أجــل.. فعلمــاء المسلمين هم الـذين يمثلـون الإسـلام.. ولكن أنت تعلم أن في المسلمين مذاهب وطوائف..

قال: لا بأس.. أنا أراعي هـذا.. فـأخبرني مـا هي الطوائـف الكبرى في المسـلمين، والـتي يمكن الاسـتناد إليهـا، والاعتمـاد على أقوالها.

قلت: الطائفتـان الكبيرتـان في المسـلمين – كمـا تعلم – هما السنة والشيعة.

قال: جيد جدا.. إذن لو أني أثبت لـك بـأن السـنة والشـيعة كلاهما يقولان بتحريف القرآن.. فهل تسلم لي؟

لم أدر ما أقول.. وما الذي يخطط له.. فقد فاجأني بمـا لم أحضر له نفسي..

لكني مع ذلك، وبحكم سلامة فطـرتي في ذلـك الحين من النزاعات الطائفية التي أصابت المسلمين في مقاتلهم، قلت: لا بأس.. فأنـا على ثقـة من أن القـرآن الكـريم متـواتر، وأن ذلـك متفق عليه عند المسلمين جميعا.

نظـر إلي، وقـال: أظن أن معلوماتـك لا تـزال قديمـة.. أو

أظن أنك إنسان كلاسيكي لا تـزال تتعلم من الـورق فقـط.. أو أنك لا تعرف عالم النت، وعالم القنوات الفضائية.

قلت: وما علاقة ذلك بما نحن فيه؟

قال: إن أبسط إنسان متابع لهذه الوسائل العصرية يخبرك بأن المسلمين مختلفون في تواتر القرآن وعدم تحريفه.

قلت: هــذا مســتحيل.. لــدي آلاف الشــهادات من جميــع طوائف المسلمين تثبت أن القرآن الكريم الـذي بين أيـدينا هـو نفسه الذي أوحي لرسول الله ﷺ.

قال: لن أتكلم أنا كما ذكرت لـك.. بـل سـأترك رجـال دين مسلمين يتحدثون بدلا عني.

التفت لعلي أرى هؤلاء العملاء الخونة الذين يتحـدث عنهم، لكني لم أجد أحدا.

نظر إلي بسخرية، وقال: لقد ذكرت لك أنك لا تزال تعيش في القرون الوسطى.. ثم أخرج فلاشة صغيرة من جيبه، وقال: العلماء الذين أتحدث عنهم موجودون هنا.

ثم بادر ووضع الفلاشة على الجهاز، وربطها بشاشة كبيرة، ثم قــال: هــا أنــا المســيحي المســالم قــد تــركت حصــتي من المنــاظرة لكم أنتم أيهــا المســلمون.. فــإن شــئت أن تجيبهم، فأجبهم بدلا عني.

لقـد أحضـرت علمـاء من كلا الطـائفتين الكبـيرتين كلاهمـا يذكر عن الطائفة الأخرى أنها تقول بتحريف القرآن، فإن جمعنا بينهما، فهذا يعني بالضرورة أن المسلمين متفقون على تحريف القرآن.

بدأ الشـريط، وقـد ظهـر فيـه جمـع من علمـاء المسـلمين بعضهم يرتـدي عمـة أزهـر مصـر، وبعضـهم يرتـدي عمـة أزهـر لبنان، وآخرون يرتدون ملابس الهنود والباكستانيين والسعوديين وغيرهم.. وكان الكل عليه سيما العلماء ووقارهم.

وتكلم الجميع.. وكـانت الأحقـاد باديـة على وجـوههم، وفي ثنايا الألفـاظ الـتي ينطقـون بهـا، فقـد كـانوا كلمـا ذكـروا كلمـة (رافضة) يعقبونها بكلمات مثل (الخبثاء.. المجرمـون.. الكفـار.. الزنادقـة.. أخبث الأمم.. الأراذل).. وألقـاب أخـرى كثـيرة أنـزه لساني عن ذكرها.

وقد حاول الجميـع بكـل طـرق الاحتيـال أن يلبس الشـيعة القول بتحريف القرآن.

بعـد أن انتهى من اسـتعراض الشـريط، أردت أن أتحـدث وأقول بأن هؤلاء كذبة وليسوا علمـاء، وأن أكـبر علمـاء الشـيعة على مدار التاريخ يشـهدون على سـلامة القـرآن من التحريـف، وأن القـرآن الـذي يتلونـه هـو نفسـه القـرآن الـذي يقـرؤه كـل المسلمين.. وأن كبار علماء السنة يشهدون لذلك أيضا.

لكنـه لم يتح لي الفرصـة.. بـل قـال لي: لا تتصـور نفسـك أكـبر من هـؤلاء العلمـاء.. فلـولا أنهم ثقـاة ومقبولـون عنـد المسلمين لما كانت لهم كل تلك المناصب..

ثم نظر إلي باحتقار، وقال: أنت أيها النكرة.. لسـت سـوى رويبضة بالنسبة لهم.. أخبرني ما هي القنوات الـتي استضـافتك لتمثل علماء المسلمين؟

سـكت.. فأنـا أعلم أني لم أدل بتصـريح واحـد في حيـاتي لقناة واحدة لا تلفزيونية ولا أرضية.. ولا حتى إذاعة.

قال: فـأخبرني في أي مؤسسـة علميـة رسـمية انتميت أو رأست؟

قلت: أنا أستاذ متخصص في هذه الجامعة.. ألا يكفي هذا؟

قـال: هنـاك مئـات الآلاف مثلـك.. وهم متواضـعون.. ويستفيدون من هؤلاء المشايخ الذين تريد أن ترفـع نفسـك إلى مكانهم.

أردت أن أتحـدث، فقـال لي: سـمعنا الطـرف الأول، وهم

أهل السـنة الـذين أثبـوا أن الشـيعة يقولـون بتحريـف القـرآن.. والآن هيا نستمع إلى ما يقوله الشـيعة في تحريـف أهـل السـنة للقرآن.. ليكمل لنا الدليل بشقيه.

لست أدري كيف كنت على ثقة من أنه لن يجد من علمــاء الشــيعة من يقــول بــذلك.. لكــني فــوجئت بإحضــاره علمين كبيرين.. كلاهما من الشباب، وكلاهما يدير قناة فضائية إحداهما في بريطانيا، والثانية في أمريكا.

وقد راح هـذان الأحمقـان يخـبران العـالم أجمـع بـأن أهـل السنة يقولون بتحريف القرآن.. ويأتون بالشـهادات على ذلـك.. والــتي لا يقبلهــا عــدول أهــل الســنة وعلمــاءهم الكبــار، لأن المصحف الذي يتداوله أهل السـنة هـو نفسـه المصـحف الـذي يتدوله الشيعة.

أردت أن أقـول هـذا، لكنـه قـال لي: لا بـأس.. أنـا أحـترم وجهــة نظــرك.. ولكنهــا تبقى وجهــة نظــر شخصــية لا تمثــل المسلمين.. ولا ترقى لأن تمثل الإسلام..

صحت بقوة: كيف تكون وجهة نظـر شخصـية.. وهي تمثـل أكثر المسلمين؟

ضـحك، وقـال: إذن مـا دام الأمـر كـذلك.. فلنجـر تصـويتا، لتعرف هل أنت تمثـل وجهـة نظـرك الشخصـية.. أم أنـك تمثـل المسلمين والإسلام؟

قلت بكل ثقة: أنا أقبل ما تطرحه علي.

قال: فلنبدأ بهذه القاعة.

كنت على ثقــة تامــة من أن القاعــة ستصــوت لصــالحي، فقلت: أنا أقبل بما طرحته.

سألني: هل جمهـور هـذه القاعـة من أهـل السـنة.. أم من الشيعة؟

صـاح المـدير من بعيـد: نحن من أهـل السـنة والجماعـة..

نعوذ بالله أن نكون من الرافضة الخبثاء.

هنا نظر إلي رجل الـدين المسـيحي، والابتسـامة الصـفراء بادية على وجهه، وهو يقول: فلنبدأ التصويت..

التفت للجمهـور، وقـال: من كـان منكم يصـوت على أن الشيعة أو الرافضة يقولون بتحريف القرآن، فليرفع يده.

لقد كـانت مفاجـأة كبـيرة بالنسـبة لي.. فقـد ارتفعت كـل الأيدي.. ولم يسعفني بصري لأرى الأيدي التي لم ترفع.

نظر إلي، وقال: أظن أنني فـزت.. لكن لا بـأس.. سـأكمل التصويت.. من منكم - معشر الحاضرين - يـرى بـأن الشـيعة أو الرافضة لا تقول بتحريف القرآن.

رفع رجل في آخر القاعة يده، وقال: أنا أقول بذلك..

لكنه ما إن قال ذلك حتى رماه الناس بأبصارهم، ثم راحـوا يرمونه بأيديهم وأرجلهم بكل قوة، ويقولون: لقد كنـا نشـك في كونك عبدا من عبيد الرافضة، وعميلا من عملائهم..

انتهت المناظرة، وفاز رجل الديني المسـيحي، وخصـم من مرتبي مبلـغ محـترم كلفـني أيامـا من التقشـف.. وكـان النـاس ينظرون إلي فترة من الدهر، وكأنني مجرم أو خـائن أو عميـل، وقـد كنت أتصـور أن ذلـك بسـبب هزيمـتي أمـام رجـل الـدين المسيحي، لكنني علمت بعـد ذلـك أن سـبب كـل تلـك القطيعـة الـتي ووجهت بهـا هي دفـاعي عن الشـيعة في عـدم قـولهم بتحريف القرآن.

بعد فترة دعيت إلى مناظرة أخرى تتعلق بعصمة النبي ﷺ، وطهارة عرضه الشريف.. فعلمت أنني سأهزم فيها أيضا، لأنني بعد أن حصل لي ما حصل صرت أتابع القنوات الفضـائية، وأزور شبكات التواصل الاجتمـاعي، وأرى تلـك الهـدايا المجانيـة الـتي يقدمها المسلمون للمخالفين لهم.

القاتل البريء

عندما تحصل الجرائم الكبيرة، ونـذهب إلى المحـاكم نـرى بأعيننا مصداق ما قاله الشاعر:

وقـــاتل النــفــس مأخوذ بفــعلــته

وقـــاتل الــروح لا يــدري به أحـــد

لا تســتعجلوا في الإنكــار علي حــتى تعرفــوا القصــة من آخرها إلى أولها.. لأني وبحكم الانتكاسة التي نعيشها في واقعنا المريـر أرى أننـا نحتـاج أحيانـا لنبـدأ من الآخـر، ثم ننطلـق إلى الأول.. فلا يشرح الآخر مثل الأول.

في تلـك المحكمـة بـدأ القاضـي الجلسـة، وطلب إحضـار المتهم الذي قتل شـيخا من مشـايخ الصـوفية الـذين زاروا تلـك البلدة بمناسبة إحياء مولد من الموالد.

كان المتهم رابط الجأش، مع أن كـل الأدلـة ضـده.. وكأنـه متيقن بالبراءة، أو ينتظر أن يزف إلى الجنان.

نطق المدعي بدعواه، ولم يحتج إلى أي مشقة في إثباتها، فقـد حصـل القتـل في المسـجد، وعلى عين الإمـام الـذي كـان على المنبر، وفي موضع يسمح لـه برؤيـة الحادثـة بدقـة، ولهـذا بمجرد أن انتهى من دعواه طلب القاضي الإمام ليقدم شهادته.

كـان الإمـام فحلا في الخطابـة، فلـذلك صـعد إلى المحـل الذي يستجوب فيه الشهود، وراح يقدم خطبة في حرمة القتـل، وفي فداعة الجريمة التي قام بهـا المتهم.. ولم يفتـه أن يطلب من القاضي أن يقوم بالقصاص العادل منه.. ولم يفته كذلك أن يشـــكر الشـــرطة والداخليـــة والحكومـــة ورئيس الجمهوريـــة والقاضـي.. وغـيرهم على الجهـود الـتي يقومـون بهـا من أجـل حماية المجتمع من أمثال ذلك المجرم.

كـان يتحـدث.. وكـان الحضـور يكـبرون أحيانـا، وأحيانـا يصفقون.. وكان القاضي حيبا، فترك له الفرصة ليتحدث..

أما محامي المتهم، فلم يجد إلا أن يطلب التيسير عليه في الحكم باعتبـاره رب أسـرة فقـيرة، وكونـه متـدينا جديـدا، وقـد تصور أنه يقوم بعمل شرعي..

وعندما قال هذا قام الإمام بدون استئذان، وراح يصيح: مـا هـذه الجريمـة.. كيـف يتحـول الـدين إلى أداة للقتـل.. أطـالب بتسليط أشد العقوبات عليه.. لأنه استخدم الدين في الإرهاب؟

أوقفــه القاضــي بعــد أن هــدده بإيداعــه الســجن إذا لم يسكت..

كــان المتهم يرفــع يــده كــل حين ليطلب الحــديث لكن القاضي لم يكن يسمح له.. وكان محاميـة يقـترب منـه، ويطلب منـه أن يسـتجدي القاضـي.. فلم يجـد المسـكين إلا أن يكتفي بالاستجداء دون أن يعرض ما يريد أن يقوله بدقة.

لم تطل المحاكمة كثيرا.. وكـان الحكم فيهـا واضـحا، وهـو إعدام القاتل..

وبمجـرد أن نطـق القاضـي بـالحكم صـاح الإمـام وبطانتـه مكبرين.. شاكرين للقاضين الحكم العادل الذي نطق به.

بعد تلـك الجلسـة رحت إلى بيـتي، وفتحت هـاتفي الـذكي الذي كان يسجل صـوتا وصـورة كـل مـا حصـل في ذلـك اليـوم المشؤوم..

ظهر الخطيب، وهو في طريقه إلى المنبر يلتفت للصفوف الأولى، وإذا به يرى شيخا من مشـايخ الطـرق الصـوفية يجلس صحبة مريديه الذين تعودوا أن يحضـروا لـذلك المسـجد مـع مـا يســمعون فيــه.. ولكنهم رعايــة لوحــدة المســلمين ولحرمــة الجمعة، كانوا يحضـرون ولا يبـالون لمـا يقـال لهم، أو مـا يقـال فيهم.

عندما صعد الخطيب المنبر راح يستجمع كل قواه الغضبية ليكون منها صاروخا نوويا يهجم بـه على المحيطين بـه، ليقضـي عليهم قضـاء نهائيـا، وهـو ضـامن بأنـه لا يوجـد أحـد يجـرؤ على

مقاطعته.. لأنهم جميعا ملتزمون بوصية رسول الله ﷺ : (من قال لصاحبه والامام يخطب انصت فقد لغا ومن لغا لا جمعة له)[1]

بعد انتهاء الآذان قام الخطيب، ورمى بشرارة بصره إلى الحضور الذين كان أكثرهم من العوام البسطاء من أتباع شيخ الطريقة، وكان بينهم زمرة من أصحاب الشيخ وتلاميذه.

قال الشيخ في خطبته[2] بعد الحمدلة والصلاة على رسول الله ﷺ: بما أنكم عرفتم – في الخطب الماضية -أن كل الشرور الموجودة في الأمة طرأت عليها بسبب انحرافها عن هدي نبيها وسلفها الصالح.. فإن هذا يَجعلنا نحرص ونبحث عن الخلل الذي أدخل هذه الانحرافات في الأمة..

والتساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح، ويحتاج إلى أن نجيب عنه بقوة وجرأة هو من السبب في ذلك؟

من هم المجرمون الذين أوقعوا الأمة فيما نراه من تخلف وضياع وتبعية وجهل وخرافة؟

من يتحمل وزر كل الضياع الذي تقع فيه الأمة؟

البعض يعيد لذلك لأسباب سياسية من ضعف الحكام، أو تسلط الاستعمار.. ونحو ذلك.. وكل ذلك غير صحيح..

السبب أيها المسلمون واضح، وهو بيننا يمشي على قدمين.. وقد نراه في مساجدنا.. بل قد نراه في الصفوف الأولى منها..

إنهم الصوفية المشركون الملحدون الخرافيون القبوريون..

1() رواه الترمذي والنسائي.

2() بعض ما نورده هنا من الخطبة منقول بتصرف من كلام للشيخ محمد بن عبد الله الإمام، من كتاب له بعنوان (شركيات وعقائد الصوفية)، ونفس الكلام يردده أصحاب المنهج السلفي.

أنه تلك القبور والأضرحة والمقامات التي صارت تعبـد من دون الله.. لقد صـارت مسـاجد المسـلمين في مشـارق الأرض ومغاربها محال يعبد فيها غـير اللـه.. لأنهـا مبنيـة على القبـور أو القبور تُدخلُ فيها..

هـل تـدرون لم بُـنيت المسـاجد على القبـور، والقِبـاب المشيدة على القبور؟

الجواب بسيط وواضح.. لقد وضع الزنادقة أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ تـبين جـواز ذلـك، بـل تستحسـنه، ثم جـاء فقهـاء ومفسرون ومحدثون وأدعياء علم كتبوا في ذلـك، ونشـروه بين الناس إلى أن صار الناس مشركين.

تركوا الاستعانة بالله، وراحوا يستعينون بأصـحاب القبـور.. تركوا تمجيد الله، وراحوا يمجدون أصـحاب القبـور.. نسـوا أيـام الله التي أمر بتعظيمها، وراحوا يعظمون موالد مشـايخ الشـرك والضلالة.

لقد كان كفار قـريش أبـو جهـل ومن معـه وأبـو لهبٍ ومن معـه أكـثر حرمـة وتـدينا من كثـير ممن يسـمون أنفسـهم مسلمين[1].. وممن يتصورون أنهم ينالون أجـر الصـفوف الأول في المساجد.. ونسوا أنهم مشركون لا يرون الجنة، ولا يشمون ريحها.

لقد كان أبو جهل وأبو لهب والوليد وغيرهم من المشركين إذا اشتد بهم الأمر التجـؤوا إلى اللـه وأخلصـوا نـداءهم وتعلقهم ودعاءهم لرب العالمين.. تصوروا لقـد كـانوا، وهم مشـركون لا يتعلقون بأصنامهم، لأنهم يعتقدون أنها لا تعطيهم ما يريدون، ولا تدفع عنهم ما يحذرون.

لكن للأسـف الشـديد صـار المسـلمون الآن عنـد الشـدائد يتوجهون إلى غير الله رب العالمين.

1() يحرص دائما دعاة الاتجاه السلفي على تفضيل مشركي الجاهلية على المسـلمين.. وهناك أدلة مفصلة على هذا في محلها من هذه السلسلة.

يوجد عندنا في وفي مسجدنا هذا صنم من الأصنام لا أسميه، فكلكم يعرفه.. يأتي إليه الناس يتمسحون به، أما الله فقد نسوه.. أما الله فقد ضيعوه.. أما الله فقد تركوه، وما وثقوا به، وما أحسنوا الظن به، ولا عبدوه ولا يرجون رحمته ولا يخشون عذابه.

يا سبحان الله كيف ضاعت أمتنا، وكيف تاهت، وكيف انطلى هذا البلاء العظيم على الأمة والتوجه بكل العبادة إلى صاحب القبر، لا يخاف إلا صاحب القبر، لا يرجو إلا صاحب القبر، لا يُعظم إلا صاحب القبر، لا يذبح إلا لصاحب القبر.

تصوروا أن بعض عبدة القبور عندنا إن أراد أن يحج يذهب ويستأذن من صاحب القبر، وإن رجع من الحج مر على صاحب القبر، وقال له : لقد حججنا وما نسيناك.

انظروا إلى هذا الحد يلعبون على عقول المسلمين.. هذا إبطال للدين.. هذا إبطال الشريعة..

وكيف لا يحصل هذا، وقد كان عندنا في مصر شيخ من مشايخ الأزهر.. هو عبد الحليم محمود عندما أراد أن يؤلف كتاباً في مدح أحمد البدوي المقبور في طنطا بأرض مصر ذهب وبقي ليالي عند قبره.. وبعد ذلك ذكر في الكتاب أنه ما كتب هذا الثناء والمدح لأحمد البدوي إلا بعد أن أذن له أحمد البدوي.

لهذا أيها الناس، ولا أقول المسلمين.. احذروا على عقائدكم من هؤلاء المشركين.. إنهم موجودون معنا في كل مكان ابتداء من مسجدنا هذا.

فويل لمن اتبعهم.. وطوبى لمن تبرأ منهم.. والفردوس الأعلى وما فيها من الحور والقصور لمن خلص الأمة من شرورهم.. والحمد لله رب العالمين.

بمجرد أن قال هذا، قام القاتل، وغرز سكينه في قلب شيخ الطريقة.. وانهال الناس عليه.. وسلموه للشرطة.. وحصل بعد ذلك ما حصل.

بعد أن رأيت ما رأيت.. ذهبت إلى محامي المتهم، وقدمت له الشريط، فنظر إلي، وقال: أنصحك بأن تحرقــه.. أو ترميــه.. فما أسرع ما يجـد المحـامون الكبـار الـذين يلتفـون حـول ذلـك الإمام من المخارج ما يضعك في الزنزانة طول حياتك..

قلت: ولكن الدليل معي.

قــال: ولكن الإعلام وجمعيــات الحقــوق الإنســان والأمم المتحدة معه.. إن حلـف المسـتكبرين لا يمكن أن يقضـي عليـه محام مستضعف مثلي.

حجارة في أزقة الطائف

من لطـف اللـه بعبـاده أن يعيـد لهم التـاريخ والابتلاءات المرتبطـة بـه كـل حين بثيـاب جديـدة، وبامتحانـات جديـدة.. ليمحص كل إنسان التمحيص الذي يبرز سريرته، ويكشف نيته، ويدل على حقيقته التي يخفيها بتكبره وغروره ودعاواه.

كنت أراقب الأحداث، فـأرى كـل يـوم مرحلـة من مراحـل التاريخ تمر أمامي.. فمرة أرى الحرة، حيث استبيحت المدينـة.. ومرة أرى كربلاء حيث حصلت أكبر مأسـاة في التـاريخ.. ومـرة أرى المصاحف وهي ترفـع لتقـوم على أساسـها دول اللصـوص والانتهازيين والمجرمين..

كنت أرى كل ذلك، وأعتـبر بـه.. لكـني لم أكن أتصـور أنـه سيأتي اليوم الذي أرى فيه بعيني ما حصل لرسول الله ﷺ يـوم ذهب إلى الطائف.

خطر على بالي هـذا عنـدما ذهبت إليهـا بعـد أداء العمـرة، لأرى البلـدة الـتي تشـرفت بسـير رسـول اللـه ﷺ بين جنباتهـا وأزقتها.. وتشـرفت بعـد ذلـك بـأن تشـربت تربتهـا ببعض دمـاء رسول الله ﷺ..

كان أول ما فعلته عندما دخلت إليهـا هـو زيـارتي للمسـجد الذي أقيم في نفس المكان الذي سار فيه رسول الله ﷺ.. كان الإمام فصيحا بليغا، يملك الكثير من أدوات البيان التي تخول له أن يصور الحقائق، وكأن المستمع يراها رأي عين.. كان يتحـدث عن سـيرة رسـول اللـه ﷺ.. وكـان يتحـدث عن قدومـه ﷺ للطائف.. وكيف قابله أهل الطائف بذلك العنف وتلـك الشـدة.. وكيف أغروا به سـفهاءهم وعبيـدهم يسـبونه ويرمـون عراقيبـه بالحجـارة، حـتى دميت عقبـاه، وتلطخت نعلاه، وسـال دمـه الطـاهر على أرض الطـائف.. ومـا زالـوا بـه حـتى ألجـأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فعمد إلى ظل شجرة من عنب، فجلس فيه هو وصاحبه زيـد، ريثمـا يسـتريحا من عنائهمـا، ومـا أصابهما.

وفي ذلك الحين بث شكواه لربه بقوله: (اللهم إليك أشكو ضـعف قـوتي، وقلـة حيلـتي، وهـواني على النـاس، يـا أرحم الـراحمين، أنت رب المستضـعفين وأنت ربي إلى من تكلـني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عـدو ملكتـه أمـري؟ إن لم يكن بـك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنـور وجهـك الذي أشرفت له الظلمات، وصلح عليه أمر الـدنيا والآخـرة، من أن تُـنزل بي غضـبك، أو يحـل علي سـخطك لـك العتـبى حـتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1]

ثم ذكر كيف لاقاه ﷺ بعدها بقرن الثعـالب جبريـل – عليـه السلام- فناداه قائلا: (إن الله قد سمع قول قومك لك ومـا ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بمـا شـئت فيهم)، وكيف ناداه ، فسلم عليه ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبـق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: (بـل أرجـو أن يخـرج اللـه من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشركُ به شيئًا)[2]

كـانت كلماتـه تتحـول أمـامي إلى مشـاهد حيـة أعيشـها، وكـأنني كنت مـع رسـول اللـه ﷺ في ذلـك الحين، أرى تلـك المعاناة العظيمة التي كان يتكبدها، وهو يبلغ دعوة ربه.

من غير شعور مني، رحت أخاطب رسول الله ﷺ، وأقول: (يا رسول الله.. يا خير خلق الله.. يا أكرم الخلق على الله)

فجـأة رأيت النـاس يلتفـون حـولي يضـربونني بأقـدامهم ونعـالهم، ويخرجونـني من المسـجد، ثم يقولـون للإمـام: لقـد ضبطنا هذا المشرك، وهو يدعو رسول اللـه ﷺ في المسـجد، لا يبالي بحرمته، ولا حرمـة هـذه البلـدة المعظمـة الـتي تشـرفت برسول الله ﷺ.. وكأنه يريد أن يعيدها إلى ما كـانت عليـه قبـل شيخنا محمد بن عبد الوهاب.

نظر الإمام إلي، وقال: هل حقا ما يقولون؟

1() رواه ابن إسحق في السيرة.

2() رواه البخاري.

رحت بكل قوتي، والجراح تنزف من جسمي أقول لـه: لا.. إنهم يكذبون علي.. لم أكن أشرك..كنت فقـط أخـاطب رسـول الله ﷺ لأبثه..

قاطعني الإمام بقوة: وهذا هو الشرك بعينـه.. أين أنت من رسول الله ﷺ.. رسول الله ﷺ مـات.. ولم يبـق لـه وجـود على هذه الأرض إلا جثته التي لا تسـمن ولا تغـني من جـوع.. فكيـف تتجرأ على دعائه.. ألا تعرف أنه لا يملك لنفسه حـولا ولا قـوة.. ولا ضرا ولا نفعا.. ولا موتا ولا حيـاة ولا نشـورا.. حـتى شـفاعته في الآخرة لا تنفع إلا بإذن الله.. ووجودها كعدمها لولا إذن الله.

قلت: لعلـك لم تفهمـني - سـيدي – فأنـا مـؤمن بكـل مـا ذكرت.. فالله هو النافع الضار المحيي المميت، وهو الذي يقبـل الشفاعة أو يرفضها.. ولكني فقط تـذكرت رسـول اللـه ﷺ بعـد خطبتك.. فرحت أناجيه..

قاطعني بقوة، وهو يقول: وذاك هو الشـرك.. المناجـاة لا تكون إلا لحي.. ورسول الله ﷺ ميت.. والله تعالى يقـول: إنـك لا ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: 80].. إن ما قمت به شرك يا رجل..

قلت: وكيـف يكـون شـركا، وقـد صـليت معكم.. وقـرأت سـورة الفاتحـة.. وقـرأت فيهـا قولـه تعـالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]

قاطعني بقوله: وهل كل من فعـل ذلـك مسـلم.. مـا أكـثر المشركين الذين يحفظون هذه السـورة، بـل يحفظـون القـرآن جميعا.. بل إن شرك هؤلاء أكبر بكثير من شـرك أبي لهب وأبي جهل وأبي العاص..

أردت أن أتكلم لأدافـع عن نفسـي، فـانبرى جلـف غليـظ، ركلني على فمي، فسال الدم منه، وراح يقول للإمام: إلى متى نصبر على هؤلاء.. لو تركنا لهم المجال، فسيعيدون الطائف إلى ما قبـل الشـيخ محمـد بن عبـد الوهـاب.. وسـتعبد الأصـنام من جديد.. وستصبح هذه البلاد بلاد شرك، لا بلاد توحيد.

قال الإمام: صدقت.. لابد من الحـزم.. أنتم تعلمـون كيـف تعامل سلفنا الصـالح من أتبـاع شـيخنا الكبـير المجـدد ابن عبـد الوهاب مع أهل الطائف..

قـال ذلـك الجلـف الغليـظ: أجـل.. لقـد ذكـر في (عنـوان المجد) تلك الانتصارات العظيمة التي حققتها الفرقة المنصـورة الناجية في وجه المشركين.. لقـد فـرت القبائـل المشـركة من مساكنها.. وكان أطفال ونساء المشركين يهيمون علي أنفسهم في البرية.. وكان الكثـير منهم يلقي حتفـه.. وقـد ذكـر أن بعض نساء المشركين كن من الرعب والهول الذي سلطه الله عليهم يسقطن حملهن أثناء الغزو والمباغتة.

ركلـني ثـان، وقـال: صـدقت.. لابـد من الحـزم مـع هـؤلاء المشـركين.. فقـد روى لنـا أجـدادنا من أتبـاع الشـيخ ابن عبـد الوهاب كيف كـانوا يسـبين ذراري المشـركين لأنهم لا يختلفـون عن عبدة الأصنام.

ركلـني ثـالث، وقـال: صـدقت.. لقـد صـرح الصـنعاني في (تطهير الاعتقاد) في عدة مواضع ما يدل علي ذلـك حيث قـال: (ومن فعل ذلك (أي الاستغاثة وما يجري مجراها) لمخلوق فهذا شرك في العبادة، وصار من تفعل له هـذه الأمـور إلهـا لعابديـه وصار الفاعل عابدا لذلك المخلوق، وإن أقر باللـه وعبـده، فـإن إقرار المشـركين باللـه وتقـربهم إليـه لم يخـرجهم عن الشـرك وعن وجوب سفك دماءهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم)

ركلني رابع، وقال: صدقتم.. فقد قـرأت في ذلـك الكتـاب: (فمن رجع وأقر، حقن عليه دمه وماله وذراريـه ومن أصـر فقـد أباح الله منه ما أباح لرسول الله ﷺ من المشركين)

ركلـني خـامس، وقـال: صـدقتم.. لقـد حكي الجـبرتي في تاريخه في حوادث (سنة 1217 هـ). أن أجدادنا من أتباع الشـيخ ابن عبد الوهاب لما دخلوا الطائف قتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال. قال: وهذا دأبهم مع من يحاربهم.

ركلني سادس، وقال: صدقتم.. وهذا هو سـر تلـك الغنـائم

الكثيرة التي نالها أجدادنا بسبب دفاعهم عن التوحيد وحربهم للشرك.. لقد أخبرنا أن بعض أمرائنا كان له من المماليك الذكور أكثر من خمسمائة مملوك.. ومن النساء أكثر من سبعمائة جارية..

ركلني سابع، وقال: فما تقول يا شيخنا بعد هذا؟.. ما العقوبة التي تراه يستحقها؟

نظر الإمام إلي، وكأن كل تلك الركلات والصفعات والدماء التي تسيل مني لم تكف، فقال: أرى أن نغري به صبياننا حتى يشبوا على كراهية الشرك والمشركين.. لابد أن يصبح الحقد على المشركين هو القيمة العليا في المجتمع.. أرسلوه في أزقة الطائف.. واجمعوا للأطفال ما قدرتم عليه من الحصا.. وأخبروهم أن هذا الدجال مشرك.. وسترون ما يفعلون به.

بعد أن قال الإمام هذا سحبوني بقوة.. ثم تركوني في زقاق من أزقة الطائف.. وجاء الصبيان يهرعون إلي بحجارتهم.. وأنا أفر منهم بكل ما بقي لدي من قوة إلى أن وجدت بستانا.. وهناك اختبأت تحت بعض أشجاره، ورحت أردد ما ردده رسول الله ﷺ يوم الطائف.

موالد.. وموالد

هناك ظاهرتان واضحتان أراهما في زعماء التشدد في التاريخ الإسلامي تحتاجان إلى محللين نفسيين لإبراز منبعهما النفسي:

أما الأولى، فهي ذلك الاستعلاء والتكبر على المستضعفين من المسلمين أو غير المسلمين إلى درجة رفض الحوار والتعايش، بل الدعوة إلى إلغائهم واستئصالهم.

وأما الثانية، فهي ذلك الخنوع، وتلك الذلة أمام المستكبرين، سواء كانوا حكاما أو رجال أعمال أو أي شخص يستلم أي مسؤلية، أو تناط به أي مهمة.

والأمثلة على هذا أكثر من أن تحصى، وربما تحدثنا عن بعض هذا سابقا.. وربما سنتحدث عنه لاحقا.

وكمثال على ذلك نذكره اليوم قصة حصلت معي، وربما حصلت معكم، ومن لم تحصل معه، يمكنه أن يذهب إلى التراث الكبير لهؤلاء ليراها بعينه.. وإن لم يكن من هواة المطالعة، فيمكنه أن يشاهدها على القنوات التلفزيونية الدينية الكثيرة التي صارت حكرا على هؤلاء المتشددين.

كنت ذات يوم أسير مع قافلة كانت تصحب بعض المشايخ الذين وفدوا إلى قريتي.. واهتزت القرية لحضورهم.. لا لشيء، سوى أن هذا الشيخ قدم من دولة تحتضن الحرمين الشريفين.. وقد تصور الناس أنهم بالتمسح بهم أو السير معهم سينالون بركات الحرم وأنواره..

كان الشيخ ينظر إلى المحلات، فيعجبه بعضها، وينتقد بعضها، ويسخر من بعضها بتعال وكبرياء أثارت حفيظة بعض الناس، فغادر القافلة متأففا متضجرا.. لكني - ولبلادة طبعي - بقيت.. لعلي أرى مشاهد أخرى.. فقد تعودت على أمثال تلك المشاهد، ولم تعد تؤثر في.

فجأة مررنا على مسجد يحتضن رفاة ولي من أولياء الله

– كما يعتقد أهل القرية – وكان الناس متجمعين داخله، وخارجه ينشدون القصائد بفرح وسرور..

سأل الشيخ عن سر هذا التجمع، وسر تلك الأناشيد، فانبرى إمام القرية، وقال له: هذه تجمعات لبعض الصوفية الذين يفدون من كل البلاد، وفي مناسبات مختلفة إلى هذه القرية، لإحياء ذكرى شيخهم، وهم يتذاكرون فيها، وينشدون القصائد، ويكتسبون أفرادا جددا.. بالإضافة إلى ما يقام في تلك المناسبات من ولائم، وهي كلها مما ترغب فيه النفس، ويميل إليه الطبع، وهي بذلك تعطي شحنات إضافية للسالك الصوفي يتزود منها مدة طويلة.

وقال آخر: ويصحب ذلك بعض الرخاء الاقتصادي الذي تعيشه القرية.. فهي كما تراها منعزلة.. ليس فيها موارد رزق تكفي سكانها.. ولذلك تساهم هذه الموالد في تنشيط الحركة الاقتصادية.. وربط القرية بمحيطها الاجتماعي.

قال آخر: بالإضافة إلى هذا، فإن لهذه الموالد كثيرا من الآثار الاجتماعية، فهي تربط المجتمع بعضه ببعض، بل تربط المجتمع بتاريخه وثقافته والرجال الذين يميل إلى تقديسهم.. وهي تساهم في تشكيل الهوية، والحفاظ عليها.

أراد آخر أن يتحدث.. فانتهره الشيخ بقوة، وراح يخطب بحماسة، وكأنه ليس ضيفا، ولا في بلدة أخرى لها أعرافها وتقاليدها..

وقف في ذلك المحل يقول: أنتم فقط تهتمون بالجانب الاقتصادي والاجتماعي متغافلين عما يحدث فيها.

قال رجل منا: وما يحدث فيها؟

قال الشيخ: ألم تروا إلى ما يركب فيها من فواحش ومحرمات؛ وما يهتك فيها من أعراض وحرمات؟

قال الإمام: مهلا يا شيخ.. نحن لم نر شيئا من ذلك.. فنحن الذين نقوم بتنظيم هذه الموالد.. وليس فيها ما ذكرت.. وإن

حصل وأساء بعض الناس الأدب.. فذلك شأنه.. ولا يمكن أن نلغي عملا خيريا من أجل إساءة من بعض الناس.

غضب الشيخ غضبا شديدا، وراح يقول: (ما من صاحب دعوة إلا ويحرص على تأييد دعوته بما يقدر عليه من جمل وألفاظ ودلائل، حتى يضمن قبولها ورواجها.. ولا نجد في أصحاب الدعوات من يحرص على صدق جمله وصحة دلائله، إلا إن كان يدعو إلى اتباع السنة وتقليد السلف، فهو الوحيد الذي يحرص على الصدق والصحة في كل ما يتلفظ به، يحرص أن يكون كما هو ظاهرا وباطنا.. بخلاف أهل الأهواء والبدع وأهل الفساد والتخريب، فإنهم يرفعون شعار الإسلام وهم يهدمونه.. ويرفعون شعار السنة وهم يخالفونها.. ويدعون اتباع السلف وليس كذلك.. وفي سبيل تدعيم مذاهبهم الباطلة الزائغة يوردون الكلام الكثير والأدلة المتنوعة، التي لا تصحح مذهبهم ولا تعطيه الشرعية)[1]

قال الإمام: مهلا يا شيخ.. فنحن نحترمك لعلمك.. وللبلدة التي جئت منها.. ولكن لا يحق لك أن تتهمنا من غير بينة.. فإن كنت قد رأيت منكرا، فأخبرنا حتى نغيره..

قال الشيخ: نفس الموالد بدعة.. حتى مولد النبي ﷺ بدعة.. وليس هناك مولد في الأرض إلا وهو بدعة.. السنة فقط في اتباع السلف الذين ما عرفوا هذه الضلالات، ولا شموا روائح هذه المنكرات، ولا حدثت بينهم هذه الحادثات..

ثم راح يصرخ في الجموع الذين حضروا المولد بقوة وتعال وكبرياء: (يا قومنا، أجيبوا داعي الله، ولا تجيبوا داعي الشيطان.. يا قومنا إن أصول هذه المنكرات مفسدة للعقيدة، وإن فروعها مفسدة للعقل والمال، وإنكم مسؤولون عند الله عن جميع ذلك.. يا قومنا إنكم تنفقون هذه الأموال في حرام وإن الذبائح التي تذبحونها حرام لا يحل أكلها، لأنها مما أهل به لغير الله؛ فمن أفتاكم بغير هذا فهو مفتي الشيطان، لا مفتي

[1] () رد شبه المولد النبوي وتسويغهم له (ص: 2).

القرآن)[2]

بمجرد أن انتهى من خطبته الحماسية رن هاتفه، فنظر في اسم المتصل، فأصابته رجفة، وكأن زلزالا نزل به.. قربه من أذنه، وراح يقول: حاضر سيدي.. أنا في خدمتك.. وبخصوص مولد مولانا الملك.. فقد أعددت لذلك قصيدة رائعة، لا شك أنها ستعجبه.. وقد كلفت نائبي بأن يحضر لذلك حفلا دعوت له الأعيان وأهل العلم من كل ربوع المملكة.. لا تقلق بهذا الشأن، فقد أمرت بجلب أحسن أنواع اللحوم من كل الأصناف، وأمرت الطباخين بتجهيز أحسن الولائم.. وبصفتي المسؤول الرسمي عن الاحتفالات الملكية، فقد حضرت كل ما يرتبط باليوم الوطني للمملكة.. وبيوم النخلة.. وبيوم بناء مولانا الملك لقصره الجديد، وبمناسبة زواج ابنه.. كل ذلك محضر عندي.. لكن فقط لا تنسوا أن ترسلوا لنا بما طلبناه منكم من أموال.. فالميزانية التي خصصتموها لهذه السنة تكاد تنفذ.. وأنت تعلم أنه لا يمكن إجراء مثل هذه الموالد من دون أموال.

قال ذلك، ثم ابتسم ابتسامة عريضة للملتفين حوله، وقال: هذا اتصال جاءني من رئيس الديوان الملكي، ولا يمكنني أن أؤجل الحديث معه.

ثم قال: فيم كنا نتحدث؟

قالوا: عن الموالد؟

قال: مولد من؟

قالوا: مولد هذا الولي الذي قدم الناس لأجله.

قال: آه.. تذكرت.. اعذروني.. لقد بدأ الزهايمر يزورني مبكرا.. نعم.. هذه بدعة.. هذه ضلالة.. هذا كفر.. هذه زندقة.. هذه هرطقة..

وظل يردد ذلك إلى أن قلنا: ليته سكت.

2() آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (3/ 322)

المشكلة الكبرى التي يعاني منها المتشددون هو عدم قراءتهم للقرآن، أو عدم تدبرهم له، وإلا فلو أنهم قرؤوه، وتدبروه، وحاولوا أن يعيشوا القيم السامية التي يحملها، لخففوا الكثير من غلوائهم وتشددهم، ولتواضعوا لله، ولخلق الله.

وسأضرب مثالا على ذلك هنا ورد في القرآن في مواضع متعددة، وبأساليب مختلفة، لتتكرر قراءته، وتتقرر معانيه، وتترسخ.. وهو قوله تعالى في قصة آدم عليه السلام، ورفض إبليس السجود، وقوله حينذاك مخاطبا ربه: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]

لقد تكرر هذا المشهد أمامي مرات كثيرة جدا.. كان إبليس البشري، بل المتدين، يعود فيها كل مرة، ليرفض السجود، ويتعلل بنفس المبدأ، مبدأ الخيرية التي صنعها بهواه.. لا الخيرية التي يزكي بها الله من شاء من عباده.

وقع المشهد على كوكب الأرض، وفي شركة صناعية فيها، وقد دعيت إلى الحضور باعتباري شاهدا، وقد كان ذلك فرصة لي لتسجيل هذا الحوار الجديد.

في البداية صعدت امرأة إلى المنصة، وراحت تذكر مشاريعها التي تريد أن تقوم بها في صالح الشركة في حال انتخابها.. وكانت مشاريع كثيرة جدا.. وقد سئلت عن مدى واقعيتها، فذكرت التفاصيل الدقيقة الكثيرة التي برهنت على أنها مقتدرة، وأن فيها من الكفاءة والنزاهة والإخلاص ما يتيح لها الحق في الترشح.. وقد تعجبت من قوة ذاكرتها، وحفظها للأرقام الكثيرة، وتعجبت أكثر من حضور بديهتها، فهي تجيب عن كل ما تسأل عنه بسرعة، وكأنها كانت تعلم الأسئلة مسبقا.. وتعلم الإجابة عنها.

لا أخفي عليكم أني أعجبت بها كثيرا.. فقد كان لها من القدرات ما يسمح لها بتولي ذلك المنصب الخطير.. لكني مع ذلك لم أستعجل في الحكم لها، فقد يكون للمترشح الثاني من القدرات ومن المشاريع ما يفوق ما عندها..

بعد أن انتهى الوقت المحدد لها نزلت ليصعد رجل صاحب

لحية كثيفة وقميص قصير، فأصابني بعض الرعب الذي يصيبني من أمثال هؤلاء نتيجة تجاربي المريرة معهم.. وقد استغفرت ربي عندما أصابني هذا.. وأنبت نفسي كثيرا لأني أسأت الظن من غير تحقيق ولا علم..

ولكني بعد ذلك عدت فاستغفرت من استغفاري.. وأنبت نفسي لتأنيبها لي.

سأحكي لكم مشروعه العظيم الذي راح يتقدم به ليدير تلك الشركة المهمة التي قد تنهض بالاقتصاد، وقد تهوي به.

صعد المنصة، وأخذ جزءا مهما من وقته المتاح له في تلك الخطبة الطويلة التي تعود أصحابه أن يقدموها، وكأنها فرض لازم.

ثم نظر إلى الجموع، وقال[1]: ألا وإن من أعظم ما يندى له الجبين، وتثلم به عرى الدين لهي هذه الدعوات من أوباش الخنا وأثمة الخائنين، تلك الدعوة البائرة التي لا تصدر إلا عن أحد اثنين: إما مائع مخنث، وإما دجال خبيث يتظاهر بالدعوة إلى إلغاء فوارق التأنيث، ليتقاضى من وراء ذلك مبالغ من الأموال عمالة من اليهود أو النصارى على إبعاد المرأة المسلمة عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ بارتكاب أنواع الفواحش من تبرج واختلاط وخلع جلباب الحياء وغير ذلك من فنون الفساد وحيلها، فيا هول مصيبة المسلمين بهذا، وهل كانت أول فتنة بني إسرائيل وهلاكهم إلا من ذلك.

قاطعه رئيس الجلسة قائلا: أظن أن أخانا نسي الغرض الذي صعد من أجله.. نحن الآن نقيم مناظرة بينك وبين فلانة لننظر أيكما أصلح لإدارة هذه الشركة.. وقد تقدمت فلانة، ووضحت مشاريعها.. والآن دورك.. ما هو المشروع الذي تحمله؟

نظر المترشح إلى رئيس الجلسة بغضب، وقال: لا أظن إلا أنك من هؤلاء الذين ذكرتهم.. كيف تجرؤ على مقاطعتي في نفس الوقت الذي جبنت فيه على مقاطعتها.

قال رئيس الجلسة: أنا أدير الجلسة، ولو أنها خرجت عن

---

[1] () هذا النص مقتبس من كتاب: (كشف الوعثاء بزجر الخبثاء الداعين إلى مساواة النساء بالرجال وإلغاء فوارق الأنثى) ليحي الحجوري.

الموضـوع لقاطعتهـا.. هي وبشـهادة الجميـع لم تتحـدث إلا في صلب الموضوع.

قال الرجل: وأنا أيضا كنت أتحدث في صلب الموضوع.

قــال رئيس الجلســة: لم أفهم.. مــا علاقــة كلماتــك تلــك بمشروع شركتنا.

قال الرجل: لو أنك عـرفت الـدين، وقـرأت مـا قـال علمـاء المسـلمين لفهمت عـني مـا ذكـرت.. لكنـك لا تقـرأ.. ولهـذا لم تفهم ما عنيت.

التفت رئيس الجلسة إليه، وقال: لا بأس.. أنـا جاهـل وأمي، بل ومغفـل أيضـا.. ولهـذا سأسـأل الجمهـور عن علاقـة كلامـك بموضوع جلستنا..

ثم التفت إلى الجمهــور، وقــال: ألكلامــه علاقــة بموضــوع جلستنا؟

صاح رجل من الجمهور: أجل.. بل كلماته في الصميم.. ولــو أنك ألقيت سمعك، لاكتفيت بها.

قال رئيس الجلسة: فمـا في كلماتـه من الاحتجـاج لترشـيح نفسه.

قـال الرجـل: مجـرد كونـه ذكـرا دليـل قـوي على كونـه هـو الحقيق بهذا المنصب ما دام لم يزاحمه فيه رجل آخر.

قال رئيس الجلسة: ولكن هناك امرأة تزاحمه، وقد سـمعتم حججها.

قال الرجل: كل حججهـا ملغيـة وغـير معتـبرة.. فهي أنـثى.. وهو ذكر.. وكونه ذكرا كاف لترجيح كفته.

قــال رئيس الجلســة: أنــا لا أعلم أن هنــاك فــوارق بين الجنسين..

حدثت ضجة كبيرة في القاعة بعد قوله هذا، إلى أن أوقفهم شيخ كان من جملة الحضور الـذين دعـوا.. تصـورت في البدايـة أنه يريد أن يعيد الجميع إلى العقل والحكمة.. لكني فوجئت كما كنت أفاجأ كل مرة.

قال الشيخ: إن كانت هذه الشركة تريد أن تقوم على أصول شـرعية، فعليهــا أن تطبــق الشــريعة على الجميــع ابتــداء من مديرها، وانتهاء بأبسط عامل فيها..

أما الذين يذكرون تساوي الجنسين فهي بدعة حادثة، بل هو كفر مخرج من الملة.

ثم أخرج كتابا من محفظته، ولوح به للجمهور، وقال: أنظروا هذا الكتاب (كشف الوعثاء بزجر الخبثاء الداعين إلى مساواة النساء بالرجال وإلغاء فوارق الأنثى)، ويسمى أيضا (النصح الحثيث لبعض المخانيث الداعين إلى مساواة النساء بالرجال وإلغاء فوارق التأنيث).. إنه للمحدث الكبير العلامة (أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري).. انظروا ما قال في مقدمة كتابه..

راح يقرأ: (هذا وليعلم أن الدعوة إلى إلغاء الفوارق بين الذكر والأنثى كفر أكبر مخرج من الملة، لأنه ردٌّ وتكذيبٌ لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ)

هل سمعتم ما يقول هذا العلامة..

فيا أيها المسلمون والمسلمات أذكركم بالله عز وجل، وأذكركم بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27]

ويا دعاة الرذيلة أذكركم الله عز وجل وأذكركم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19]

قال رئيس الجلسة: اسمح لي يا شيخ.. فنحن في جلسة رسمية.. وسينتج عنها انتخابات لمدير هذه الشركة.. فلذلك نرجو أن تؤجل مواعظك إلى الوقت الذي تنتهي فيه الجلسة.

غضب الشيخ غضبا شديد، وقال: أتريد مني أن أسكت على المنكر.. أتريد مني أن أترك الشيطان في هذا المجلس؟

قال رئيس الجلسة: إن لم تسكت، وتدعنا نكمل عملنا، فسأضطر لإخراجك من هنا.

بمجرد أن قال هذا، قامت فوضى كبيرة في المجلس، ثم قام بعضهم وأسرع إلى رئيس الجلسة ومعه رفقة من أصحاب الفتوة، وهو يقول: أنت الذي ستخرج من هذا المجلس..

ثم انهالوا عليه يضربونه، ويخرجونه.. وبعدها طلبوا من الشيخ أن يصعد إلى مجلس الرئيس، ويواصل خطابه..

صعد الشيخ، وراح يقول[1]: لقد اتفق سلفنا الصالح على أن المرأة ناقصة عقل ودين.. وأنها سفيهة.. وأنها ناقصة الظاهر والباطن.. في الصورة والمعنى.. ولهذا تكمل نقص ظاهرها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض الشعراء:

وما الحلي إلا زينة من نقيصة ... يكمِّل من حسن إذا الحسن قصِّرا

وأما نقص معناها فإنَّها ضعيفة عاجزة عند الانتصار، فلا عبارة لها ولا همة، كما قال بعض العرب وقد بُشِّر ببنت: (والله ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء وبرها سرقة)

ونتيجة لنقصها الشديد، وخيرية الرجل عليها حرم عليها أن تتولى أي ولاية، أو تتسلط أي سلطة حتى سلطتها على بيتها، لقد قال البغوي في (شرح السنة): (اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إماماً، ولا قاضياً، لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد، والقيام بأمر المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للبروز، وتعجز لضعفها عند القيام بأكثر الأمور، ولأن المرأة ناقصة)[2]

وفوق ذلك فإن المرأة لا تستطيع أن تخرج من بيتها إلا مع محرم وللضرورة الشديدة، وقد قال العلامة الألباني، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: (وما شاع هنا في دمشق في الآونة الأخيرة من إتيان النساء للمساجد في أوقات معينة ليسمعن درسًا من إحداهن ممن يتسمون بالداعيات -زعمن- فذلك من الأمور المحدثة التي لم تكن في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد السلف الصالحين، إنما المعهود أن يتولى تعليمهن العلماء الصالحون في مكان خاص كما في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ وعظ النساء، أو في درس الرجال حجزة عنهم

1() النصوص الواردة هنا من الكتاب المذكور مع بعض التصرف البسيط.

2() شرح السنة، (10/77).

في المسجد، فـإن وجـد في النسـاء اليـوم من أوتيت شـيئًا من العلم والفقه السليم المستقى من الكتاب والسنة فلا بـأس من أن تعقد لهن مجلسًا خاصًـا في بيتهـا أو في بيت أحـداهن، ذلـك خير لهن)[1]

بقي يتحـدث بهـذا وأمثالـه إلى أن انتهى الـوقت.. وبـدأت الانتخابات.. وقد كانت المفاجأة أن الرجل هو الـذي فـاز فيهـا.. وعندما خرجت سألني بعض الصحفيين عن سبب انتصار الرجل عليها، فقلت من حيث لا أشعر: هو خير منها.. هـو خلـق ذكـرا.. وهي خلقت أنثى.

بعد شهر واحد من تلـك الحادثـة أعلنت الشـركة إفلاسـها، وطرد العمال.. أما الرئيس فقد فر بصحبة الشيخ إلى سويسرا، ومعه حقيبة من المال.

1() السلسلة الصحيحة: (6/401) تحت حديث رقم (2680)..

عرب.. وعجم

سأحكي لكم اليوم قصة قد تفسر تنزيلنا الواقعي والتاريخي والتراثي للآية الكريمة التي يقرر فيها الله سبحانه وتعالى عظمة العدالة الإلهية التي لا تفرق بين بشر وبشر، أو شعب وشعب، أو قبيلة وقبيلة.. وهي قوله تعالى: يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(الحجرات:13)

هذه الآية الكريمة تدعونا إلى التواضع مع خلق الله جميعا، واعتبار أنفسنا أفرادا في مجتمع الإنسانية الكبير الذي لا يحق لأحد أن يضع موازين المفاضلة فيه غير خالقه ورازقه ومدبر أموره والعارف بسريريته وعلانيته.

كان يمكن لهذه الآية الكريمة – لو اتخذت قانونا يضبط العلاقات الإنسانية - أن تجعل البشر جميعا إخوة متحابين لا صراع بينهم، ولا قتال.. لكن الفهم المدنس، وبعض الأيدي الملوثة حرفت الآية الكريمة تحريفا شديدا.. وأعادت إزار الكبرياء بالقوميات والعرقيات ليدخل من جديد.. والخطورة الكبرى أن يدخل باسم الدين نفسه.

قد تستغربون هذا.. ولكن الحكاية التي سأحكيها تزيل هذا الاستغراب:

سمعت ذات يوم أن هناك عالما كبيرا سيزور مدينتنا ليلقي بعض المحاضرات المهمة التي تبصرنا بواقعنا والمؤامرات والتحديات التي يواجهها..

وقد حسبت في البداية أنه محلل سياسي كبير.. أو خبير في المستقبليات.. أو متخصص في التخصصات العلمية التي ترتبط بهذا المجال الخطير.. ولهذا كنت مهتما لا بحضوري الشخصي فقط، بل بدعوة كل من أعرفهم ليحضروا.. فلا يمكن أن نتجاوز المخاطر التي تتربص بنا بغير الوعي وفقه الواقع بكل تفاصيله.

لكني ندمت بعد ذلك لا على حضوري فقط.. بل على أولئك المغفلين الذين كنت سببا فيما حصل لهم من انتكاسة فكرية خطيرة صعب علي أن أعالجهم منها بعد ذلك.

طبعا كعادتنا في أمثال هذه المجالس يقوم المنظمون بثناء كبير على المحاضر وخبرته وشهاداته ونحو ذلك ليكون محل ثقة لدى المستمعين.. لكن المنظمين في هذه الجلسة لم يفعلوا شيئا من ذلك.. سأصور لكم الأحداث كما وقعت بتفاصيلهم.. وعلقوا بما تروه مناسبا:

تقدم مقدم المحاضرة من المنصة، وراح – بعد الترحيب بالحضور- يقول: محاضرنا اليوم علم كبير من أعلام الدعوة الإسلامية السنية السلفية الأثرية.. وقيمته ليس في العلوم التي يحفظها عن ظهر قلب فقط.. وإنما في كونه ولد وتربى في أسرة نجدية ذات نسب عريق يعود إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأحفاده من العلماء.. ولا أنسى قبل أن يتقدم لإلقاء محاضرته أن ألقي عليكم جزءا من أرجوزة طويلة كتبها محمد البشير الإبراهيمي مثنيا على آبائه وأجداده من علماء نجد الذي أحيوا الدين بعد أن اندراسه، وأحيوا التوحيد بعد أن عم الدنيا ظلام الشرك.. يقول الإبراهيمي في قصيدته[1]:

إنا إذا ما ليل نجد عسعسا	وغربت هذي ائجواري خنسا
والصبح عن ضيائه تنفسا	قمنا نؤدي الواجب ائمقدسا
ونقطع اليوم نناجي الطرسا	وننتحي بعد العشاء مجلسا
موطدا على التقى مؤسسا	في شيخة حديثهم يجلو الأسى
وعلمهم غيث يغادي الجلسا	كأننا شرب يحث الأكؤسا

[1]() آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (4/ 126).

إلى آخر الأرجوزة الطويلة التي اعتبر فيها الإبراهيمي نجدا وعلماء نجد قطب الأمة ومحورها، بل وقبلتها التي إن لم تتوجه لها وقعت في البدعة والشرك والضلالة.

بعد أن نفخ المقدم المحاضر بكل صنوف المـديح والثنـاء.. وبعد أن جحظت العيون وهي تنتظر طلوع الطلعـة البهيـة الـتي تبصرها بالمؤامرات الـتي تحـاك لهـا.. تقـدم المحاضـر بهندامـه النجدي المعروف.. وبعد مقدمة طويلة أخـذ يقـول: لاشـك أنكم تنتظرون مني أن أحدثكم عن المـؤامرات الـتي تحيكهـا أمريكـا لنا.. أو تحيكها إسرائيل.. أو تحيكها بريطانيـا.. لا.. لن أذكـر لكم ذلـك.. لسـبب بسـيط وهـو أن ألئـك مهمـا كـان فهم أعـداء ظاهرون.. ويمكننا لو طبقنا التعاليم الشرعية معهم أن نحـولهم إلى أصـدقاء.. إن هـؤلاء جميعـا مهمـا بلـغ خطـرهم، فـإنهم لن يحتلوا سوى أرضنا، ولن يستلبوا سوى خيراتنا.. وكل ذلك متـاع الحياة الدنيا.. والآخرة خير وأبقى..

إن الخطر الكبير أيهـا المؤمنـون هـو فيمن يسـمون باسـم الإسلام.. وهم في الحقيقة منافقون كافرون ضـالون مشـركون ما دخلوا الدين إلا ليخربوه.. لاشك أنكم عرفتم من أقصد..

إن الخطر الأكبر هو المشروع الفارسـي الـذي يريـد إحيـاء امبراطورية كسرى.. أنتم تعلمون أن الفرس منذ زالت دولتهم، وهم يحقـــدون على المســـلمين، ويحقـــدون على الصـــحابة، ويحقدون على العرب لأنهم أبناء الصحابة.. وكـل مـا ترونـه في وقع التاريخي ناتج من مؤامراتهم..

لقـد طفت حـول العـالم أجمـع.. كمـا طـاف إخـواني من النجـديين للتحـذير من هـذا المشـروع الخطـير الـذي يريـد أن يستأصل الإسلام والسـنة والسـلف.. والحمـد للـه فنحن علمـاء نجـد كنـا نـدرك خطـورة هـذا المشـروع من البدايـة بخلاف المغفلين من سائر البلاد الإسـلامية والـذين عمي على قلـوبهم، فلم يدركوه إلا بعد أن استفحل خطره..

أمـا نحن.. ودولتنـا الكريمـة.. فقـد قمنـا بكـل الجهـود

لمحاربته.. ابتداء من تلك الحرب التي امتـدت ثمـاني سـنوات.. وبعدها كل المقاطعات الاقتصادية.. ولا نزال نتحالف مع الجميع من أجل أن نقف في وجه هذا المشروع الخبيث..

بقي المحاضـر يتحـدث بهـذا ومثلـه سـاعة كاملـة إلى أن اعتقد الحضور أن الفرس ليسوا بشـرا، وإنمـا هم عفـاريت من الجن.. أو أنهم من كـوكب آخـر.. وأن قلـوبهم ليسـت سـوى مراجل تغلي حقدا على العرب والعروبة.

بعـد أن انتهى من محاضـرته، تقـدم أسـتاذ محـترم كنت أعرفه وأعرف حرصه على الوحدة الإسـلامية، بـل على الأخـوة الإنسانية، وراح يقول بأدب، بعد شكره للمحاضـر: ليتـك سـيدي الفاضـل طـرحت أفكـارك من غـير أن تربطهـا بشـعب من الشعوب.. ففي كل الشـعوب يوجـد الصـالح والمنحـرف.. وفي كـل الشـعوب يوجـد التقي والفاسـق.. واللـه سـبحانه وتعـالى يحاسب البشر على أعمالهم لا على أنسابهم.

انتفض النجـدي غاضـبا، وقـال: أرأيتم أيهـا الحضـور.. بهـذا وأمثاله يتسلل المشروع الفارسي الخطير إلى بلاد المسلمين.. بهذا المغفل وأمثاله يتسرب كسـرى إلى حاراتنـا وبيوتنـا ليبـني امبراطوريته من جديد..

بربكم كيف يمكننا أن نحذر الناس من المشروع الفارسي، ونحن نذكر لهم أن الفرس مسلمون وطيبون..

بربكم كيف يمكننا أن ننجح في عاصفة الحزم الـتي نواجـه بها المشروع الفارسي، ونحن بهذه البلاهة أو الغفلة..

ثم قام بقوة، وقـال: لا.. لا.. لا يمكن أبـدا أن يحتـالوا على عواطفنا بمثل هذه الكلمات..

كـان الأسـتاذ قـوي الشخصـية، ولا يخـاف أن يـؤلب عليـه المحاضر الحضور، ولذلك قام من جديد، وقال: إن سـمحت لي أيها المحاضر.. فأنا أريد أن أسألك عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا

يَسْـتَبْدِلْ قَوْمًـا غَيْـرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُـوا أَمْثَـالَكُمْ﴾[1].. هـل ورد عن النبي ﷺ في تفسيرها شيء.

قال المحاضر: الآية واضـحة.. وهي لا تحتـاج إلى تفسـير.. ولا إلى سبب النزول.. ففيها تهديد الله سبحانه وتعـالى للعـرب الذين نزل القرآن الكريم بين ظهـرانيهم أنهم في حـال تـوليهم وتخليهم عن الدور المناط بهم، أنه سيتولى ذلـك قـوم آخـرون، وأنهم سيؤدون الأمانـة بصـدق وإخلاص، وأنهم لن يكـون أمثـال القوم الأولين الذين شوهوا الرسالة..

قال الأستاذ: كلامـك صـحيح.. ولكن اللـه سـبحانه وتعـالى أخـبر أن من وظـائف رسـول اللـه ﷺ بيـان الحقـائق القرآنيـة ومصاديقها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44]

ارتبك المحاضر، ولم يدر ما يقول، فقام إمام كان حاضـرا، وقال: لا بأس.. قد يكون المحاضر مرهقـا، ولم يتـذكر الحـديث الذي ورد في تفسير الآية، والذي صـححه الألبـاني وغـيرهم من المحدثين، وهو أن المراد منها قوم سلمان الفارسي رضي اللـه عنه، فقد روى أبو هريرة قال : تلا رسـول اللـه ﷺ هـذه الآيـة : ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(محمـد: 38) قـالوا : ومن يسـتبدل بنـا ؟ قـال: فضـرب رسـول اللـه ﷺ على منكب سلمان - أي سلمان الفارسي ثم قال: (هذا وقومه)[1].. فقد وضح رسول الله ﷺ في الحديث أن هؤلاء البدائل هم سلمان وقومه.. أي الفرس..

غضب المحاضر غضبا شديدا، وقال: اسكت أيها الأبلـه.. ألا تعرف أنه ليس كل ما يحفظ يقال.. ألم تسمع قولـه ﷺ : (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ماسمع)[2]

1() سورة محمد: 38.

1() رواه الترمذي، قال الألباني: صحيح.

2() صحيح مسلم.

قام الإمام غاضبا، وقال: بلى.. وقد سمعت معها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(البقرة: 146)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾(آل عمران: 187)

قال المحاضر: ألا ترى أيها المغفل أن الآيتين نزلتا في أهل الكتاب من قبلنا.

قال الإمام: لن أجادلك في هذا، ولكني أقرأ عليك قوله ﷺ : (من كتم علما يَعلمه جاء يوم القيامة مُلْجَمًا بِلِجَام من نار) [3] ، قد صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.. وقال الحاكم قبله: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وليس له علة.

قام المحاضر: من هؤلاء كنت أحذركم.. إن هؤلاء هم الذين يمدون المشروع الفارسي بالقوة.. إنهم جنود كسرى البلهاء..

ثم طلب من مقدم الجلسة أن يمنع أمثال هؤلاء من الحديث، وقال له: لا تدعوا هؤلاء يوسوسون لكم، ويفتنونكم عن دينكم.. لا تأذن بالحديث إلا لمن ترى فيه سيما أهل السنة والجماعة.. وسيما السلف والأثر.. ومن عداهم لا تأذن لهم.

قام أحد هؤلاء، وقد كنت أعرفه جيدا، وقد كان يعمل تاجرا، وله علاقات مالية بنجد وتجار نجد.. وكان صاحب لحية طويلة، وقميص قصير.. فاستبشر النجدي لقيامه، وقال: ائذن له بالحديث.. فإني أرى فيه سيما الإيمان والتوحيد.

تقدم التاجر، وقال: شكرا جزيلا لك على هذه التحذيرات الخطيرة التي نبهتنا لها.. والتي لا يزال نفر من قومنا في غفلة منها.. ونحن نريد أن نستغل وجودك معنا لتبين لنا المشروع البديل للمشروع الفارسي حتى نكون جنودا في هذا المشروع.

---

(3) رواه الحاكم وابن حبان.

استبشر النجدي خير لكلامه، وقال: هذا هو العقل الذي نريد.. العقل الذي يفكر فيما يعمل.. لا العقل الذي يجادل ويخوض فيما لا ينفع..

ثم أخرج خريطة من جيبه تضم الوطن العربي، وقال: نحن نريد أن تتحالف هذه الشعوب العربية جميعا في وجه المشروع الفارسي.. نريد مشروعا عربيا..

قام بعض الحضور، وقال: ولكن الإسلام دين عالمي.. ولا علاقة له بجنس دون جنس.

قال النجدي: أجل.. ولكن الله سبحانه وتعالى أعطى الريادة للعرب.. العرب هم سادة العالم.. العرب هم خير خلق الله.. ولا يمكن لأحد مهما عمل أن يكون له فضلهم وشرفهم.

قام الإمام، وقال: ولكن.. ألم تسمع ما ورد في الحديث من قوله ﷺ في خطبة الوداع:(يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات:13)، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فليبلغ الشاهد الغائب) [1].. وقوله في حديث آخر: (إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون) [2].. وقوله ﷺ :(إن الله عز وجل أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها) [3].. وقوله ﷺ:

1() رواه البيهقي والطبراني.

2() قال المنذري: رواه الطبراني في الأوسط والصغير والبيهقي مرفوعا وموقوفا وقال المحفوظ الموقوف، الترغيب والترهيب: 3/375.

3() رواه أحمد.

(أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحــدكم، كلكم بنــو آدم ليس لأحد على أحد فضل الا بالدين أو تقوى وكفى بالرجل أن يكــون بذيا فاحشا بخيلا) [1]

غضب النجـدي غضـبا شـديدا، وقـال: إلى مـتى يظـل هـذا الغبي ينشر ما نحتاج إلى كتمانه في هذه الأيام.. ألا يعـرف أنــه ليس كل ما يعرف يقال.. لقـد ورد عن كبـار الصـحابة من رواة الحديث أنهم كتموا بعض ما رووه عن رسول الله ﷺ لعلمهم أن المصلحة في ذلك الكتمان.. لقد روي في الحديث الصــحيح عن أبي هريرة، قـال: (حفظت من رسـول اللـه ﷺ وعـاءين ؛ فأمـا أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)[2]

ثم من هذا الرويبضة حتى يستنبط من القـرآن والحـديث.. أهو خير من ابن تيمية الذي سمع كل هذه الأحاديث ورواها ومع ذلك يقول بخلافها..

عجب الجميع لقوله هذا، ولم أدر إلا وأنا أصـيح من حيث لا أشعر: هل حقا ابن تيمية يخالف هذه الأحاديث؟

قال النجـدي: أجـل.. ابن تيميـة كـان واعيـا جـدا لخطـورة تسـرب مثـل هـذه الأحـاديث في أذهـان النـاس.. لأنهـا تجعلهم عرضة لأي مشروع أعجمي يريد أن يحرف ديننا ا لعربي..

أخرج كتابا من محفظته، وقال: انظروا هـذا الكتـاب الـذي سـماه شـيخ الإسـلام (اقتضـاء الصـراط المسـتقيم لمخالفـة أصحاب الجحيم).. إنه من أهم كتب ابن تيمية التي توضح معنى الصراط المستقيم الذي نقرؤه كل يوم في سورة الفاتحة عند قوله تعالى:﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6]

فلن يفهم الصراط المستقيم من لم يقرأ هذا الكتاب..

لقد عقد فيه شـيخ الإسـلام فصـلا خاصـا.. بـل بابـا خاصـا

---

(1) رواه أحمد.

(2) رواه البخاري..

بعنوان (باب تفضيل جنس العجم على العرب نفاق)

فتح الكتاب على موضع كان محددا، وراح يقـرأ: (إن الـذي عليه أهل السنة والجماعـة اعتقـاد أن جنس العـرب أفضـل من جنس العجم: عبرانيهم وسريانيهم، رومهم وفرسهم وغيرهم..)

طوى الكتاب، ثم قال: لا تظنوا أن ذلك بسبب كون رسول الله ﷺ منهم.. لا هذه معلومة خاطئة.. فالعرب أفضل الأجنـاس بما وهبهم الله من طاقات لم تـوهب لغـيرهم.. لقـد ذكـر شـيخ الإسلام هذا، فقال في نفس هذا الكتاب: (وليس فضـل العـرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كـون النـبي ﷺ منهم، وإن كـان هذا من الفضل، بل هم أنفسهم أفضل. وبذلك ثبت لرسول الله (ص) أنه أفضل نفساً ونسباً، وإلا لزم الدور)

سكت قليلا يتأمل موقع كلامه من الحضـور، ثم قـال: أعلم أن في هذه القاعة الكثير من العجم الـذين قـد لا يرضـيهم هـذا الكلام.. ولكن ما عساي أقول لهم.. هـذا هـو الـدين.. ولا ينبغي لعقولنا أن تتدخل فيما يقوله الدين وإلا حق علينـا قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا كَـانَ لِمُـؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَـةٍ إِذَا قَضَـى اللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَمْـرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَـدْ ضَـلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]

قام رجل من الحضور، وقال: انظر ما تقول يا شـيخ.. أنت الآن تحطم أشياء كثيرة كنا نعتقدها من بديهيات الدين ومبادئه.. لعـل مـا تقولـه رأي انفـرد بـه بعض الفقهـاء.. فلا تـوجب علينـا الالتزام به.

غضب النجدي، وقال: ويلك.. أقـول لـك (شـيخ الإسـلام).. وتقول لي بعض الفقهاء.. لو وقف شيخ الإسلام في صـف وكـل الفقهاء في صف لوقفت مع شيخ الإسلام.. لأن الحق يدور معه حيثما دار..

ومع ذلـك فشـيخ الإسـلام نقـل بتواضـعه كلام الفقهـاء في هذه المسألة، بل نقل إجماعهم فيها..

فتح الكتاب، ثم راح يقرأ: (ولهذا ذكر أبو محمد بن حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها: (هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق)

انظر ما يقول شيخ الإسلام.. لقد ذكر أن هذا (هو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم. فكان من قولهم.. (ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها، ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ : (حب العرب إيمان، وبغضهم نفاق وكفر)[1])

قام الإمام، وقال: ولكن الحديث ضعيف.. فلم يروه إلا..

قاطعه النجدي، وقال: ويلك.. أأنت أعلم أم شيخ الإسلام.. ألا تعلم ما قاله بعض سلفنا الصالح من أن كل حديث لا يعرفه شيخ الإسلام، فليس بحديث.. لقد علق شيخ الإسلام على الحديث بقوله: (وهذا الإسناد وحده فيه نظر، لكن لعله روي من وجه آخر، وإنما كتبته لموافقته معنى حديث سلمان، فإنه قد صرح في حديث سلمان: بأن بغضهم نوع كفر، ومقتضى ذلك: أن حبهم نوع إيمان، فكان هذا موافقا له)[2]

قام رجل كنت أراه دائما يدعو إلى نفس ما يدعو إليه الشيخ من القومية العربية، وراح يقول، والفرح باد على وجهه: شكرا يا شيخ.. لطالما كنت أنادي فيهم بهذا.. لكن للأسف وجود بعض الأعاجم في هذه البلاد جعلهم لا يلتفتون لكلامي..

1() رواه الحاكم في مستدركه (4 / 87).

2() اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم 1/ 437).

فحدثنا عن بدعة الشعوبية..

قال النجدي: بورك فيك أخا العرب.. لقد سرني كلامك كثيرا.. لقد اعتبر شيخ الإسلام الشعوبية بدعة وضلالا.. بل قد تصل بصاحبها إلى الكفر.. لقد قال: (ولا نقول بقول الشعوبية وأرذال الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف)[1]

انظروا أيها الحاضرون كيف اعتبر شيخ الإسلام مجرد عدم محبة العرب وعدم الإقرار بفضلهم على سائر الناس بدعة وخلافا.

وصرح في موضع آخر بما أدل من هذا، فقال: (وذهبت فرقة من الناس إلى أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم. وهؤلاء يسمون الشعوبية لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل، كما قيل: (القبائل للعرب والشعوب للعجم)، ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب. والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق، إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك)[2]

بل إنه في موضع آخر صرح بما هو أشد من ذلك جميعا، فاعتبر أن مجرد بغض العرب كفر، فقال: (بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر أو سبب لكفر)

بل اعتبر أن حبهم يزيد في الإيمان، فقال: (ومقتضاه أنهم أفضل من غيرهم وأن محبتهم سبب قوة الإيمان)

بل إنه دعا إلى تقسيم الأعطيات والأموال على الأمة بحسب أنسابهم، كما فعل السلف الصالح.. فيبدأ بالعرب، ويوفون نصيبهم من العطاء.. ثم بعد ذلك وبنصيب أقل يعطى العجم.. وقد كان ذلك ديدن الدول الإسلامية التي كان يحكمها

1() اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم 1/ 421).

2() اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم 1/ 421)

العرب.. (هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين وسائر الخلفاء من بني أمية وولد العباس، إلى أن تغير الأمر بعد ذلك) [1]

قال القومي: فحدثنا عن حكم العجم للعرب.. هل تراه مرضيا في الشريعة؟

قال النجدي: بورك فيك.. هذا سؤال مهم جدا.. فمن البدع الحادثة، والتي خربت الأمة الإسلامية حكم العجم من الفرس والكرد والأمازيغ والترك للعرب.. لقد قال المتنبي يذكر خطورة حكم العجم للعرب:

وإنّما الناس بالملوك وما تفلح عُربٌ ملوكها عجم
لا أدبٌ عندهم ولا حسب ولا عهودٌ لهم ولا ذمم

والتاريخ يشهد عجز العجم عن حكم العرب بشكل جيد إلا في النادر.. وأحسن دولة لهم كانت دولة المماليك. كان في أقوى قوتها في أول عهدها زمن بيبرس، ثم لم تلبث أن ضعفت لأن حكامها ما أرادوا الاعتماد على العرب في الجيش، وإنما استقدموا العبيد ليدربوهم على القتال، خوفاً من انقلاب العرب عليهم. وهذا دوماً كان مصدر ضعف لهم. ثم لم يعد يكفي العبيد الأتراك فجاءوا بالعبيد الشركس فانقلبوا عليهم، ثم هؤلاء بدورهم أصابهم الضعف لنفس السبب حتى انهارت الدولة.. فسبب الضعف أنهم دوماً أقلية لا يريدون الاعتماد على العرب. أما العثمانيون فهم مثال على الفشل الذريع في حكم العرب. وكانت دولتهم أقوى قبل أن يحكموا بلاد العرب لأن جيشهم توزع على بلاد شاسعة، مع رفضهم في نفس الوقت الاعتماد على العرب في مناصب قيادية.

قام القومي فرحا يكاد يرقص من فرحه، وراح يقول: فحدثنا عن الطاقات التي اختص الله بها العرب دون غيرهم من

---

[1] () اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم 1/ 446)

الأجناس حتى يستحقوا أن ينالوا كل هذه الفضائل.

قال النجدي: بورك فيك وفي سؤالك..

ثم أخرج كتابا من محفظتته، وقال: انظـروا.. هـذا الكتـاب كتبـه أحـد تلاميـذ شـيخ الإسـلام النجبـاء.. إن عنوانـه (مسـبوك الذهب، في فضل العرب، وشـرف العلم على شـرف النسـب)، وهــو للعلامــة الجليــل مــرعي بن يوســف الحنبلي الكــرمي.. اسمعوا ما يقول فيه..

فتح الكتـاب، وراح يقـرأ فيـه: (.. وأمـا العقـل الـدال على فضل العرب: فقد ثبت بالتواتر المحسوس المشاهد أن العــرب أكثر الناس سخاء، وكرما، وشجاعة، ومروءة، وشهامة، وبلاغــة، وفصـاحة. ولسـانهم أتم الألسـنة بيانـا، وتميـيزا للمعـاني جمعـا وفرقا بجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، إذا شاء المتكلم الجمع. ويميز بين كل لفظين مشتبهين بلفظ آخـر مختصـر، إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي.. ومن كان كذلك فالعقــل قـاض بفضـله قطعـا على من ليس كـذلك، ولهم مكـارم أخلاق محمــودة لا تنحصــر، غريــزة في أنفســهم، وســجية لهم جبلــوا عليها، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعـة قابلـة للخـير ليس عنـدهم علم مـنزل من السـماء، ولا هم أيضـا مشـتغلون ببعض العلــوم العقلية المحضة كـالطب أو الحسـاب أو المنطـق ونحـوه. إنمـا علمهم مــا ســمحت بــه قــرائحهم من الشــعر والخطب أو مــا حفظوه من أنسابهم وأيامهم، أو ما احتاجوا إليه في دنيـاهم من الأنواء والنجوم، أو الحروب، فلمـا بعث اللـه محمـدا ﷺ بالهـدى الذي ما جعل اللـه. في الأرض مثلـه تلقـوه عنـه بعـد مجاهدتـه الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات الجاهليــة التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها، فلما تلقـوا عنـه ذلـك الهـدى زالت تلـك الريـون عن قلـوبهم واسـتنارت بهـدي اللـه فأخذوا هـذا الهـدي العظيم بتلـك الفطـرة الجيـدة فـاجتمع لهم الكمال التام بالقوة المخلوقة فيهم، والهدى الذي أنزلــه عليهم) [1]

---

[1] مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب (ص: 40)

بقي النجدي يقرأ من كتاب الكرمي تارة، وكتاب ابن تيمية تـارة أخـرى.. والقـومي ومن معـه يكـادون يرقصـون فرحـا.. وغيرهم يكادون يسقطون ألما.. وقد رأيت الوجـوه الـتي كـانت متآلفـة متآخيـة بـدأت تتغـير.. وبـدأت النفـرة تبـدو عليهـا.. ثم سرعان ما حصل بين بعض العرب وبعض العجم خلاف.. فصـاح العربي بأعلى صوته: واعرباه.. وصاح العجمي: واقوماه..

ثم ما لبثت المشادة أن تحولت إلى حـرب قاسـية شـديدة لم تقف إلا بتدخل الشرطة التي أخـرجت أكـثر من في القاعـة من المتصارعين، وتركت الشيخ مشـعل الفتنـة يسـتمر في أداء دوره الشيطاني الخطير.

قام الإمام بعد ذهاب الشرطة، وقـال: سـمعنا أيهـا الشـيخ أنك من نجد؟

قال النجدي: أجل.. أنا من نجد.. تلك البلاد التي أنقـذ اللـه بها الإسلام.. تلك البلاد التي أنجبت جدي الشيخ محمـد بن عبـد الوهاب.. والشيخ عبد اللطيف.. والشيخ ابن إبـراهيم.. وغـيرهم من المشايخ الذين لولاهم لما بقي للسنة ذكر.

قال الإمام: فهل ورد في النصوص في فضلكم شيء؟

قال النجدي: كل مـا ورد في النصـوص من فضـل العـرب، فهو فينا.. فنحن أسـاس العـرب وجـذرها، ونحن شـرف العـرب وفخرها.

قـال الإمـام: لا.. ليس العقـل فقـط هـو الـذي يـدل على فضلكم.. بل ورد في الحديث الصحيح ما يدل على ذلك..

قـال النجـدي: شـكرا جـزيلا.. هاتـه.. لم أكن أعلم بـذلك.. لطالما كنت أقول في نفسي: يستحيل ألا يذكر رسـول اللـه ﷺ في فضلنا شيء.

قال الإمام: لقد ورد في الحديث الصحيح قولـه ﷺ : (اللهم بارك لنـا في شـامنا ، اللهم بـارك لنـا في يمننـا)، فقـالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، قـال رسـول اللـه ﷺ: (اللهم بـارك لنـا في

شامنا، اللهم بارك لنا في يمننـا)، فقـال النـاس: وفي نجـدنا يـا رسـول اللـه؟ فقـال رسـول اللـه ﷺ: (الـزلازل والفتن هنـاك: وهناك يطلع قرن الشيطان)[1]

غضب النجدي غضبا شديدا، وقال: أخرجـوا هـذا الرويبضـة من هـذا المجلس.. إنـه جاهـل وابن جاهـل.. ألا يعلم أن شـراح الحـديث ذكـروا أن المـراد بنجـد في هـذا الحـديث خصوصـا العراق..

قام الإمام غضبا، وقال: ولكن ابن تيمية الـذي هـو شـيخك وشيخ الإسلام الذي تدين به يذكر أن المراد بنجد هي البلاد التي جئت منها لتنشـر الفتن.. لقـد قـال فيمـا ردَّ بـه على (تأسـيس التقديس) للرازي: (قـد تـواتر عن النـبي ﷺ إخبـاره بـأن الفتنـة ورأس الكفر من المشرق الذي هـو مشـرق مدينتـه كنجـد ومـا يشـرق عنهـا).. ثم سـاق بعض الأحـاديث الـواردة في ذلـك في الصحيحين وغيرهما إلى أن قال: (ولا ريب أن من هؤلاء ظهرت الـردة وغيرهـا من الكفـر، من جهـة مسـيلمة الكـذاب وأتباعـه وطليحة الأسدي وأتباعه، وسجاح وأتباعها، حتى قاتلهم أبـو بكـر الصديق ومن معه من المؤمنين، حتى قتل من قتـل، وعـاد إلى الإسلام من عاد مؤمنا أو منافقا)[2]

قام رجل آخر، وقال: أليس النجد هو المرتفع؟

قال النجدي: بلى.. ولذلك فإنه يطلق على العـراق أيضـا.. وهذا ما ذكره الشراح.

قال الرجل: ولكن من خلال مـا ذكـره العلم الحـديث فـإن الرياض التي هي قاعـدة نجـد يبلـغ ارتفاعهـا عن سـطح الأرض 635 مترًا. أما ارتفاع العراق التقريبي عن سطح البحر فلا يعدو (34 مترًا).

قام النجدي من مكانـه، ثم سـار خارجـا، وهـو يقـول: لقـد

1() رواه البخاري ومسلم وغيرهما..

2() انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج1 ص 17- 24.

قلت لهم لا ترسلوني للبلاد التي يختلـط فيهـا العـرب بـالعجم.. إنها بلاد الكفر.. إنها بلاد النفاق..

كانت هذه آخر كلمات سمعناها معه، ولم نره بعدها.. لكنـا ظللنا زمانا طـويلا نكتـوي بنـار الفتنـة الـتي أحـدثها في بلادنـا.. والتي راح ضـحيتها بعـد ذلـك عشـرات الرجـال من خـيرة أبنـاء مدينتنا.

من صغري وأنا مولع بالخرائـط بمختلـف أنواعهـا: خرائـط الــدول والتضــاريس والمنــاخ.. حــتى الخرائــط التاريخيــة أو الجيولوجية التي تصف الأرض في جميع مراحلها..

لكنه لم يكن يخطر على بالي أن يضع البشـر في يـوم من الأيام خريطة للأحقاد إلى أن جـاء ذلـك اليـوم الـذي اسـتدعاني فيه صـديق قـديم لي لم أره منـذ فـترة طويلـة.. وقـد حـدد لي مكانــا لنلتقي فيــه.. ومــع غرابــة المكــان إلا أني ذهبت إليــه، وبمفردي، لثقتي المطلقة في هذا الصديق القديم.

لكني ما إن وصلت إلى المكان المحـدد حـتى أحـاطت بي مجموعة مسلحة، وهي تصوب سلاحها إلى جمجمتي.. فـامتلأت رعبا، وتصورت أنهم مثـل سـائر قطـاع الطـرق، فصـحت فيهم: فتشوا جيوبي وأمتعتي، وخذوا كل ما تريدون.. اتركوا لي فقــط جمجمتي فـإن فيهـا مـا لا يمكن تعويضـه بالنسـبة لي، وهـو لن يفيدكم شيئا.

ما قلت هـذا حـتى جـاء صـديقي، وصـاح فيهم: اتركـوا لـه جمجمته.. فنحن نريدها.. فأنا أعلم ما يخبئه فيها من أسرار.

التفت لصــديقي، وقلت: أهــذا أنت؟.. ألم نتفــق على أن نلتقي هنا؟

قال: أجل.. وها نحن نلتقي..

قلت: ولكن لم تفعــل بي هــذا؟.. لم ترســل لي هــذه المجموعة لتنشر الرعب في كل كياني؟ مـا كنت أحسـبك تحب التمثيل؟

ضـحك بصـوت عـال، وقـال: أي تمثيـل هـذا؟ ألا تـزال في جنونك القديم؟

قلت: ولكن.. أتستقبل صديقك القديم بمثل هذا؟

قال: هـذه عادتنـا في اسـتقبال من نحب.. فلا تقلـق، فلن

يصيبك منا أذى ما دمت لينا معنا.

ثم أردف يقول، وهو يربت على كتفي: ألا تزال جبانا كعهدي بك؟

قلت: لا أزال كما عهدتني.. لكني متعجب منك.. كيف صرت إلى هذه الحال التي أراك عليها؟

قال: أنت تعلم أني من صغري كنت أحب التدين.. وقد تأملت في أحوال المتدينين في قريتنا فلم أجد إلا الضلال والبدعة والكفر.. ولولا أن الله قيض لي من ينقذني لكنت الآن قبوريا أو معتزليا أو صوفيا أو شيعيا أو أشعريا.. أو غيرها من الملل والنحل التي ستشرف جهنم يوم القيامة.. وبئس المصير.

قلت: كيف تقول هذا.. إن هؤلاء جميعا مسلمون يعبدون الله ويوحدونه و..

قاطعني بقوة، وهو يشهر سلاحه في وجهي: تعسا لك.. لا أحد منهم يعبد الله.. المعتزلة كفار يعبدون عقولهم وأهواءهم.. والشيعة كفار؛ يعبدون علياً والحسين.. والصوفية كفار؛ يعبدون الجيلاني والرفاعي.. والأشاعرة كفار جهمية يعبدون الوهم، ويذكرون أن الله لا يد له ولا ساق ولا ضرس ولا حقو..

أردت أن أجاريه مخافة سلاحه، فقلت: ما دام الله قد أنالك من الهداية ما أنقذك به من تلك الضلالات.. فهلا سرت إليهم.. وجلست بينهم لتخرجهم من سراديب الكفر إلى نور الإيمان.

تنفس الصعداء، وقال: وكيف أفعل ذلك.. وقد حذر جميع أئمة سلفنا الصالح من محادثتهم أو محاورتهم أو مناظرتهم أو مناقشتهم.. بل حذرونا حتى من النظر إليهم حتى لا تنتقل إلينا ظلمات وجوههم.. واعتبروا كل من يبتسم لهم، أو يمد يده لمصافحتهم شريكا لهم في كفرهم وضلالهم.

قلت: إذن اتركوهم لحالهم..

غضب وأشهر سلاحه في وجهي، وهو يقول: لا تعد إلى هذا.. ليس لأولئك الكفرة إلا السيف والقتل والذبح.. ألم يأت نبينا ﷺ بالذبح؟

غضبت عندما وصف رسول الله ﷺ بهذا، قلت: الذي أعرفه أن نبينا ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق، ولم يأت بما تزعمه.

قال: أرى فيك لوثة من لوثات الكفر.. لا تخف سأقلعها منك.. ولو بقلع جمجمتك.

تحسست رقبتي، وامتلأت رعبا من حديثه، لكني تجرأت، وقلت[1]: أخبرني: هل الشيعة والصوفية وغيرهم ممن ذكرت أسوأ أم المنافقين في عهد النبي ﷺ أم أقل سوءا؟

قال: الشيعة والصوفية وغيرهم ممن ذكرت أسوأ من المنافقين.

قلت: فأين مكانهم يوم القيامة.. هل هو مع المنافقين؟ أم مع من هم شر منهم؟

قال: ما داموا أكثر ضلالا من المنافقين فهم في المحل الذي يكون فيه هؤلاء؟

قلت: ولكن الله تعالى ذكر محل المنافقين، فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]، وليس هناك أسفل من الدرك الأسفل، لأن الأسفل على صيغة أفعل..

لم يجد ما يجيبني به، فأطمعني ذلك، فرحت أقول بكل جرأة: إن قلت: أنهم في الدرك الأسفل من النار، فهم من المنافقين، وليسوا أسوأ منهم.. وإن قلت: إنهم في درك أعلى، فهم أحسن حالا من المنافقين.. وإن قلت: إنهم في درك أسفل من درك المنافقين تكون قد خالفت القرآن الكريم الذي اعتبر درك المنافقين هو أسفل الدركات.

---

[1] () استفدت في هذا الحوار من بعض تغريدات الشيخ حسن بن فرحان المالكي على تويتر، وهي موجودة على موقعه.

صوب النظر إلي جيدا، ثم قال: أنت تعلم أني لا أطيق هذه الترهات التي تنطق بها.. لكن ما الذي تريده من قولك هذا؟

قلت: لا بأس.. فقط أردت أن أسألك عن سنة النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين الذين لا يقلون عمن ذكرت.. فهل ذبحهم رسول الله ﷺ أو سجنهم أو مثل بهم؟

قال: لم يفعل شيئا من ذلك..

قلت: لو لم تقل هذا لكنت كذبت على رسول الله ﷺ فقد ورد في الحديث عن جابر بن عبد الله قال: كانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر ، ثم كثر المهاجرون بعد ، فقال عبد الله بن أبي : أو قد فعلوا ، والله ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر: دعني ، يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ: دعه ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه[1].

قال: ما الذي تريده من نقلك لهذا الحديث ؟

قلت: أريدك وأصحابك أن تستنوا بسنة رسول الله ﷺ في التعامل مع المنافقين، لأنكم إذا قلتم بأن الشيعة والصوفية وغيرهم أسوأ من المنافقين؛ فمعناه أن الله لم يكمل دركات النار؛ ويحتاجون دركاً أسفل من الدرك الأسفل؛ وهذا قول يخرجكم من الملة.. وإن قلتم: إن الشيعة والصوفية سيكونون مع المنافقين في الدرك الأسفل، فيلزمكم أن تعطوهم من الحقوق ما أعطاه النبي ﷺ للمنافقين، فلا تقتلوهم، ولا تذبحوهم، ولا تفعلوا بهم شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ، لأنكم لستم أحرص على الدين من رسول الله ﷺ.

قال: لا، لن نرضى أن نسير في الشيعة والصوفية بسيرة النبي في المنافقين.. فليس لهم عندنا إلا الذبح.

قلت: : لماذا؟ هل أنتم أكثر تقوى؛ أم أحرص على دين

1() مسند أحمد، (3/338).

الله من رسول الله ﷺ ؟

قال: معاذ الله أن ندعي هذا، ولكن الشيعة والصوفية يجاهرون بالكفر، وكان المنافقون يسرون الكفر!

قلت: ومن الذي قال لكم هذا؟ ألم تقرؤوا قول الله تعالى: (﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: 64، 65]، فالآية الكريمة تدل على أن هؤلاء جهروا بالكفر، ومع ذلك لم يعاقبهم؟

قال: لا.. لقد ذكر أنه عاقبهم.. ألم تقرأ قوله تعالى في الآية بعدها: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: 66]

قلت: ولكن هذه الآية الكريمة تنص على العقوبة الأخروية، ولا علاقة لها بالعقوبة الدنيوية، بدليل أن رسول الله ﷺ لم يعاقب المنافقين.

لم يجد ما يجيبني به، فأطمعني ذلك فيه، فقلت: أنا أعرف أنك تحفظ القرآن الكريم من صغرك الباكر.

قال: أجل.. لقد حفظته قبل أن يصل سني إلى العاشرة.. ولا أزال أحفظه.. وقد أهلني ذلك لأن أصير أميرا على هذه الجماعة المجاهدة.. وأنا لا أحفظه فقط، بل أحفظ كل ما ذكر قتادة وعكرمة ومقاتل بن سليمان وغيرهم من سلفنا الصالح في كل حرف من حروفه أو كلمة من كلماته.

قلت: ما دمت كذلك، فما قالوا في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: 88 ـ 92] من هؤلاء الذين قالوا هذا القول العظيم الذي تتفطر له السموات؟

قال: إنهم النصارى بلا خلاف بين المفسرين.. وقد قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومالك في قوله تعالى: ﴿ شَيْئًا إِدًّا ﴾ أي عظيمًا[1].

قلت: جيدا جدا.. فقد قال النصارى – حسب الآيات الكريمة – قولا عظيما لا يقل عن قول هؤلاء الذين تريد أن تذبحهم.

قال: هم متساوون.. فالكفر ملة واحدة.

قلت: لا بأس.. ما داموا متساوين.. فلنستن بهم بما أمر الله تعالى به في شأن النصارى غير المحاربين، والذين ورد في حقهم وحق غيرهم من أصحاب الملل والنحل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: 8]

لم يجد ما يقول إلا أنه أخذ بيدي، وقال: اتبعني.. فلم أدعك لتجادلني.. وإنما دعوتك لأمر أخطر من هذا.

سار بي في سراديب مظلمة إلى أن دخلنا إلى غرفة وجدت فيها الكثير من الخرائط.. فتعجبت من وجودها عندهم، فقلت: ما هذه الخرائط.. وما علاقتها بجماعتكم؟

قال: لأجل هذه الخرائط دعوتك.. فأنا أعلم شغفك بها من صغرك.

قلت: أجل.. ولكن ما نوعها: هل هي خرائط مناخ أم تضاريس.. أم هي خرائط جيولوجية أم سياسية؟

قال: وما نريد نحن بما ذكرت.. هذه خرائط الضلال والبدعة..

قلت: لم أسمع بخريطة من هذا النوع من قبل.

---

[1] تفسير ابن كثير (5/ 265).

قال: فتعال لتنظر إليها..

تقدمت، فـرأيت خرائـط مفصـلة عن كـل مكـان والعقائـد الـتي تنتشـر فيـه، فبعضـها صـوفية، وبعضـها شـيعية، وبعضـها أشاعرة، وبعضها ماتريدية.. وهكذا.

قلت: ما قصدكم بهذا التنصيف للناس وللأماكن.

قـال: لكـل مكـان العقوبـة المناسـبة لـه.. فبعضـها نكتفي بإرهابه، وبعضها نخوض في دمائه.

مـددت يـدي على مكـان مكتـوب عليـه بـاللون الأحمـر (صوفية)، وقلت: فما الذي تعملونه مع هؤلاء؟

قال: ألا تـرى اللـون الأحمـر.. هـؤلاء تسـفك الـدماء.. فهم حلوليون قبوريون وثنيون..

مددت يدي إلى مكان آخر مكتوب عليه بلون أحمـر شـديد القتامة (شيعة روافض)، وقلت: وهؤلاء أصـحاب اللـون الأحمـر القاتم.

قال: هؤلاء أخطـر من السـابقين.. وهم يسـتحقون الإبـادة التامة لصغارهم وكبارهم.

قلت: لم؟

قال: لأنهم شيعة روافض.

قلت: فما جريمتهم؟

قال: سب الصحابة..

قلت: ولكن ألا ترى أنكم تبالغون كثيرا في هذا.. لقـد ذكـر الله تعـالى الـذين يسـبونه، ومـع ذلـك لم يلـونهم بـاللون الـذي تلونـون بـه من هم أدنى منهم شـأنا، وأقـل منهم جرمـا.. ألم تسـمع بقولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَسُـبُّوا الَّذِينَ يَـدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْـرِ عِلْمٍ كَـذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُـلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108]

قال: لقد عدت إلى الجدل من جديد.. لقد ذكـرت لـك أني لم أدعك لأجادلك أو تجادلني.. وإنما دعوتك لأمر مهم.

قلت: وما هو؟

قال: هذه الخرائط هي التي دعتك.

قلت: وما الذي أفعله بها أو لها؟

قال: لقد كان يشرف على هذه الخرائـط، ويرسـمها بدقـة رجل منا.. لكنه ارتد قبل أيـام، والتحـق بجماعـة أخـرى، فبقيت هذه الخرائط ناقصة تحتاج من يكملها، ولهذا طلبتك لتؤدي هـذا الدور.

قلت: أراها جاهزة، فما الذي تريد أن تضيف إليها؟

قال: أريدك ألا تدع ضريحا أو زاوية أو حسينية أو كنيسة أو أي محل من المحلات التي تعبد فيها الأصنام إلا وبينت لنا محله بدقة حتى نقوم بما يجب علينا نحوه.

امتلأت رعبـا ممـا طـرح علي، فقلت: وإن لم أفعـل.. فمـا جزائي؟

استل خنجرا حادا، ووضعه على رقبتي، وهـو يقـول: إن لم تفعل.. فسيقطع هذا الخنجر رقبتك.. أنت تعرف أننا لا نتسـامح مع من يخالف الشريعة.

ما قال هذا حتى سمعنا ضـجة في الخـارج، فأسـرع إليهـا، وتركني فاختبأت في بعض تلك السراديب، وأنا ممتلئ رعبا لمـا أسمعه من صوت للرصـاص في كـل ناحيـة.. وقـد تعجبت إذ لم يأت أحد ليبحث عني.

وبعـد أيـام، وبعـد أن كـاد يقضـي علي الجـوع، خـرجت فشممت روائح منتنة لجثث كثيرة، كـان من بينهـا جثـة صـديقي الذي أراد قتلي.

وقد علمت بعد ذلك أن جماعة مسلحة أخـرى اختلفت مـع

تلك الجماعة في حكم المرتد: هل يكتفى بقتله بأي طريقــة، أم لابد أن يشدد في ذلك، فيذبح أو يحرق أو يرمى من شاهق؟

وقــد كفــرت كــل جماعــة من تينــك الجمــاعتين الأخــرى، وقاتلتها وقتلتهــا.. وقـد أنجـاني اللــه بســبب ذلـك من أن أكـون شريكا لهم في وضع خرائط الأحقاد.

الإسلاميون.. وصناعة الإسلامفوبيا

من الصناعات الكبرى التي يجيدها بعض الدعاة أو أكثر الدعاة إلى الدرجة التي لم يفلح الصينيون والأمريكيون والألمان في تقليدهم فيها صناعة الفوبيا من الإسلام.

لقد صارت الفوبيا شعارا رسميا خاصا بأولئك الأجلاف الغلاظ أصحاب الأشداق العريضة والألسن الطويلة.. الذين تتسابق القنوات الفضائية في استقبالهم لتتمتع بغبائهم، وبقدرتهم على إدراة التوحش والعنف، أو لإعطاء صورة للإنسان البدائي المتأثر بأخلاق النمور والحمير والسباع.

لست متجنيا في هذا، وليتني كنت متجنيا.. وسأقص عليكم قصة لا أعتبرها دليلا على ما أقول.. ولكنها شاهد بسيط من آلاف الشواهد على مدى الإجرام الذي يمارسه أولئك الدجالون باسم الإسلام.

كنت قبل سنوات أسير في بعض الشوارع الأوروبية الجميلة والنظيفة، مع صديق لي من أهلها ممن تستهويهم اللغة العربية، ويستهويهم أدبها، ويستهويهم قبل ذلك القرآن الكريم لبلاغته المعجزة، وللقيم السامية التي يحملها.

لست أدري كيف قلت له من حيث لا أشعر: أراك تعظم القرآن الكريم، وتبهرك القيم النبيلة التي يدعو إليها إلى الدرجة التي تفضله فيها على كتابك المقدس.

قال: هذا صحيح.. أنت لم تعدو الواقع الذي أعيشه.

قلت: ولكن ما الذي يمنعك من الإسلام؟

أطرق إطراقة طويلة، ثم قال: لسبب بسيط.. هو أني أخاف من الإسلام.. أنا مصاب كسائر الناس الذين تراهم بالإسلامفوبيا.

قلت: يمكن لسائر الناس أن يصاب بهذا المرض ما عداك.. فأنت تعرف القرآن.. بل تعشقه.. ويستحيل على من عرف القرآن أن يصاب بالإسلامفوبيا.

قال: لست أدري ما أقول لك.. ولكني لا أرى القرآن كتابا للمسلمين الذين أراهم.. هم أبعد الناس عن القرآن.. اسمع جيدا كيف يصف القرآن المسلم عند ذكره لعباد الرحمن.. إنهم يمشون على الأرض هونا.. إنهم يخاطبون الجميع بالسلام.. إنهم..

قاطعته: وهكذا المسلمون؟

قال: لست أدري ما أقول لك..

ما وصلنا من حديثنا إلى هذا الموضع حتى مررنا على مركز إسلامي، ورأينا الناس يقصدونه لسماع محاضرة يلقيها بعض المشايخ الكبار الذين قدموا من البلاد التي يسمونها بلاد الحرمين..

كانت الوفود تتقاطر على المركز لسماع ذلك الداعية الكبير الذي جاء من الأرض التي نزلت فيها آخر رسائل السماء.

ألححت على صاحبي أن يدخل معي لنستمع لها.. فلم يجد إلا أن يفعل، وليته ما فعل.

جلسنا في الصف الأخير.. ورحنا نتابع ما يحدث:

تقدم بعضهم، وأظنه رئيس المركز، وقال: لقد تشرف مركزنا اليوم بزيارة الداعية الكبير الذي ولد في بلاد الحرمين، ونهل من مناهلها العذبة الصافية التي لم تتكدر بما تكدرت به سائر المناهل.. محاضرنا الكبير لم يتخرج على يديه الدعاة فقط.. بل تخرج الكثير من المجاهدين في سبيل الله الذين رفعوا راية الإسلام خفاقة في جميع أنحاء الأرض.. لن أطيل عليكم سيتقدم بالحديث.. وقبل ذلك نفتتح بدعوة بعض من هداهم الله من أهل هذه البلاد إلى الإسلام لينطقوا بالشهادة بين يديه..

بعد انتهاء تقديمه تقدمت بعض الوجوه الشابة ذوي الملامح الأوروبية، وصافحوه واحدا واحدا، وهو يلقنهم الشهادة.. وبمجرد أن ينطقوا بها يسألهم عن أسمائهم ثم يغيرها لأسماء

وكـنى عربيـة.. وبقـدرة قـادر تحـول جـورج إلى أبي القعقـاع.. وتحول أندرو إلى أبي الوليد.. وتحول ديفيـد إلى أبي سـليمان.. وهكذا استطاع أن يسلبهم في طرقة عين أسماءهم التي ولدوا بها، وعرفهم الناس من خلالها.

بعد أن قام بكل ذلك في أوساط تكبيرات عالية كانت تضج بها القاعة كل حين بدأ المحاضر الكبير محاضرته.. وليته ما بدأ.

حملـق في وجـوه الحاضـرين بنظـرة ممتلئـة بالكبريـاء والعزة، وراح يقول: بمجرد دخولي إلى هـذه البلاد تـذكرت رجلا كبيرا من رجال الإسلام استطاعت خيولة وجيوشه أن تطأ هـذه الأرض وأن تملأها بدماء المسـيحيين الصـليبيين الكـافرين.. إنـه ذلك الذي حاول الكفـرة تشـويه شخصـيته فحولـوه من البطـل الهمـام إلى زيـر نسـاء.. إنكم لا شـك تعرفونـه.. إنـه السـلطان العثمـاني العظيم سـليمان القـانوني.. سـأحدثكم في هـذه المحاضـرة عنـه.. سـأذكر لكم في هـذه المحاضـرة [القصـة الحقيقية للسلطان العثماني سليمان وليس كمـا حرفهـا الكفـار وجعلوا مسلسل حريم السلطان هي الرواية][1]..

إنه أكثر سلاطين المسلمين جهاداً وغزواً في أوروبا.. حيث وصلت جيوش المسلمين في عهده الى قلب أوروبا عند أسـوار فيينا مرتين!!

إنه مجدد جهاد الأمة فى القرن العاشر.. فقد أقام السـنّة، وأحيا الملّة، وقمع البدعة والروافض..

إنه صاحب انتصار المسـلمين في معركـة موهـاكس الـتى كانت من أيام الله الخالدة، وتُعـد غـرة المعـارك الإسـلامية فى شرق أوروبا بعد فتح القسطنطينية.

إنه أعظم سلاطين الدولة العثمانيـة وأكـثرهم هيبـة ورهبـة فى قلـوب النصـارى وأشـدهم خطـرا عليهم.. وكـان من خيـار ملوك الأرض !!

1() هذا هو عنوان مقال بشبكة الدفاع عن السنة.

لقد حكم المسلمين قرابة ثمانية وأربعين سنة وامتدت دولة الخلافة الاسلامية في عهده في ثلاث قارات وأصبحت القوة العظمى في العالم بأسره بلا منازع وتمتلك أعتى الجيوش والأسلحة وصاحبة السيادة في البحار والمحيطات !!

لقد قال المؤرخ الألماني هالمر عنه: كان هذا السلطان أشد خطرا علينا من صلاح الدين نفسه!!

وقال المؤرخ الانجليزي هارولد: إن يوم موته كان من أيام أعياد النصارى!!

منذ تولى السلطان سليمان القانوني الخلافة لم يركن الى الدعة والراحة، بل لبس لامة الحرب من أول يوم وظل مجاهدا الى آخر يوم في عمره، وما ترك الجهاد قط.. ما كان ينزل من على صهوة جواده إلا ليمتطي جوادا آخر ليمضي مجاهدا في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله!!

ولا عجب من ان معظم الحديث عن السلطان سليمان القانوني سيكون عن جهاده - لأنه لا يوجد جانب أعظم ولا أروع في سيرة السلطان سليمان إلا جهاده ضد المشركين فى أوروبا وفتوحاته المجيدة!!

قال ذلك، ثم التفت للحضور، وقال: هل يوجد منكم معشر الحضور من يعرف المجر؟

رفع بعض الجدد الذين اعتنقوا الإسلام يده، وقال: هي بلادي التي ولدت فيها، وأهلي لا يزالون فيها.

قال: سأحدثك عن بعض أمجاد سليمان القانوني التي حققها في دولة آبائك وأجدادك.

عندما جلس السلطان سليمان القانوني على كرسي الخلافة كان أول ما فعله هو إرسال رسالة الى ملوك أوروبا يُعلمهم بتوليه الخلافة ويأمرهم بدفع الجزية المقررة عليهم كما كانوا يفعلون في عهد أبيه السلطان سليم الأول.. فما كان من ملك المجر إلا أن قتل رسول السلطان سليمان.. فاستشاط

السـلطان سـليمان غضـبا وانفعـل قـائلا : أيُقتـل سـفير دولـة الإسلام !!!.. أيهددنى ملك المجر !!

فما أصبح الصـباح إلا وقـد أعـدّ السـلطان سـليمان جيشـا جرار مدعوما بالسفن الحربية، وكان السلطان سـليمان بنفسـه على رأس هذا الجيش وكان قاصدا مدينة بلجراد المنيعة والـتى تُعد بوابة أوروبا الوسطى وحصن المسيحية كما كـانوا يطلقـون عليها !!

توجه السـلطان سـليمان على رأس جيش عرمـرم مكـوّن من كتائب الإنكشارية الذين مـا ان يسـمع النصـارى في أوروبـا باسمهم يأخذ الرعب منهم كل مأخذ وترتعد فرائصهم.

وبالفعـل يبـدأ السـلطان في حصـار قلعـة بلجـراد، وبعـد شـهرين ونصـف من الحصـار تسـقط قلعـة بلجـراد، ثم دخـل السلطان سليمان القانونى المدينة نفسها فاتحاً.

ومن يومهـا سـمّى المسـلمون بلجـراد (دار الجهـاد) وكـان منهـا القاعـدة الحربيـة لانطلاق جيـوش المسـلمين لغـزو بـاقى أوروبا.

لقد ظل السلطان سليمان القانونى فى بلجراد حـتى عيـد الفطـر وأقـام صـلاة العيـد فى أكـبر كنائسـها بعـد تحويلـه الى مسجد.. ولم ينزل السـلطان سـليمان من جـواده حـتى امتطى جوادا آخر مجاهدا فى سبيل الله رافعا كلمة الله خفاقة...

قال ذلك، ثم وقف وصـار يصـرخ بقـوة في وجـه الحضـور المنبهـرين: مَن مِن المسـلمين الآن يعـرف شـيئاً عن بلجـراد الإسلامية.. لقد ضاعت كما ضاعت الأندلس.. فهل من سـليمان جديد يعيـدها إلى حضـيرة الإسـلام، ويرفـع الآذان على قلاعهـا، ويحول كنائسها إلى مساجد؟

قـال ذلـك، ثم جلس، واسـترجع أنفاسـه، ثم التفت إلى المجري الذي اعتنق الإسلام، وقال له: إذا قدّر الله وذهبت يوما إلى بلدك، فأنصحك ألا تذكر اسم السلطان سـليمان القـانوني،

ولا اسم معركة موهاكس أبدا!!

فإلى الآن يوجد مثّل شعبى فى المجر يتناوله أهلها اذا حدث أمر سيىء فيقول : أسوأ من هزيمتنا بموهاكس!! وبعض الكتّاب ذكر أن هذه المعركة هي التى أدخلت الرعب على أوروبا !!

يالله.. الى هذا الحد !!

والله يا إخوة أصابنى الكمد والحزن والغمّ والهمّ كلما سألت أحد الشباب عن موهاكس أو عن السلطان سليمان، ولا يكاد يعرف شيئا!

يروي المؤرخون الأوروبيون هذه المعركة بشيىء من الذهول، وعندما يصلون الى هذه النقطة يصيبهم الدهشة والعجب!!

يا إخوة يُروى ان مدافع المسلمين أُطلقت بسرعة ومهارة فائقة للغاية وكأن المسلمين استعانوا بالجن فى هذا الأمر، ولا عجب أن يكون هذا حال من استعان بالله واستمد قوته من الله!!

كان إطلاق المدافع بصورة سريعة جدا وبدقة كبيرة مما أصاب الجيش المجري بحالة من الذهول والهلع والرعب، فولوا أدبارهم، والمسلمون وراءهم يركبون أذنابهم ويضعون سيفهم فيهم كما أرادوا..

وفرّ المجريون المعروفون ببسالتهم وضراورتهم أمام طلقات المسلمين وسيوفهم.. وفرّ ملكهم لويس الثاني.. بل إنه غرق أثناء فراره ومات!!

وانتصر المسلمون انتصارا لم يُسمع بمثله فى أقطار الدنيا.. وكان نصراً مؤزرا.. ولله الحمد والمنة..

والعجيب يا إخوة أن مدة المعركة كانت ساعة ونصف فقط.. وكان قتلى المسلمين لم يتجاوز 150 شهيدا.. وعدد ما

أسر المسلمين من الكفار 25 ألفاً.. والباقى 175 ألفاً ما بين قتيل وجريح!!

***

بقي المحاضر يعدد بطولات سليمان القانوني في أوروبا، وكان بين الحين والآخر يذكر الأرقام الكثيرة للضحايا الأوروبيين الذين سقطوا على يديه.. وكان كل من حوله يكبر فرحا ونشوة وسعادة.

فجأة التفت إلى صاحبي، فوجدته يبكي.. فسألته، فقال: إن هذا الذي تراه ومن حوله هم الخرسانة المسلحة التي تحول بيني وبين أن أنطق بما ظللت طول عمري أحلم أن أنطق به.. إن هؤلاء هم الحجاب الأعظم الذي يحول بيننا ــ معشر الأوروبيين ـ والإسلام.

قلت: ولكني رأيت كما رأيت معي أن هناك من تقدم واعتنق الإسلام بين يدي هذا الداعية.

فقال: للأسف.. أنا أعرفهم جيدا.. ويوشك أن تسمع عنهم ما يجعلك تتمنى لو أنهم بقوا على ما كانوا عليه.

قال ذلك، ثم طلب مني الانصراف..

لم أفهم في ذلك الحين ما قصده.. لكني بعد سنوات.. حصل لي من الندم ما توقعه مني.. فقد علمت أن أولئك الذين اعتنقوا الإسلام في ذلك اليوم قاموا ببعض العمليات الإرهابية في بعض مساجد المسلمين بتوجيه من جماعة من الجماعات المسلحة الكثيرة.. ولست أدري هل كان ذلك ثأرا لما فعله سليمان القانوني ببلادهم؟.. أم أنه كان إحياء للأمجاد المزعومة الملطخة بالدماء؟

ورثة إبليس هم أولئك الذين زعموا لأنفسهم احتكار الدين.. بل احتكار الكتاب والسنة.. بل احتكار الله ورسوله.. وراحوا بكل ما لديهم من أدوات الحقد والكراهية التي ورثوها من إبليس يجلسون على عروشهم الشيطانية يصنفون الناس بحسب أهوائهم وأمزجتهم.. فيكفرون ويبدعون ويضللون.. ثم يفتون الفتاوى الخطيرة التي ملأت أنهار المسلمين دماء.. وحولت حياتهم دمارا وخرابا.

وبعبارة صريحة لا لبس فيها ولا غش، فإن [السلفية] هي هذه الطائفة التي اختارت لنفسها أن ترث كبرياء إبليس وعتوه طغيانه واحتقاره لغيره..

لأن إبليس وإن قال كلمته الخطيرة: أنا خير منه.. مرة واحدة.. فإن هؤلاء السلفية يرددونها كل يوم، وفي كل حين، ومع كل الناس.. بل إنهم لا يتعاملون مع العالم إلا من آفاق هذه الخيرية التي يزعمونها لأنفسهم.. فلذا تراهم يعاقبون مخالفيهم بالهجر والاحتقار والتكفير والتقتيل، كما تصور إبليس أنه عاقب آدم بعدم السجود له.